اسم الله الأول
معناه، ومسائله، وآثاره: دراسة عقدية

د. خالد بن ناصر بن ربيعان العتيبي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

اسم الله الأول معناه، ومسائله، وآثاره: دراسة عقدية

د. خالد بن ناصر بن ربيعان العتيبي
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

إن (الأول) من أسماء الله الحسنى، الثابتة بالكتاب والسنة والعقل والإجماع، وهو يعني السابق في وجوده ورتبته على كل موجود، وكل نعمة وفضل تحصل في الوجود فمرجعها ومآلها إلى الله تعالى في خلقها وإمدادها، ولم يثبت من أسماء الله بمعنى السابق والمتقدم إلا اسم (الأول)، وما عداه كالقديم والأزلي فنسبته غير ثابتة، ومن تدبر اسم الله (الأول) وجده يدل دلالات عظيمة على: أنه تعالى أول بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ليس شيئاً منها مخلوق، وأنه لم يكتسب شيئاً من ذلك بعد وجود خلقه وأن أسماء الله وصفاته كثيرة، ولا تعني كثرتها وتعددها إنكار أوليته، بل هي دالة على كمال الذات، وأن صفات الأفعال ثابتة لله تعالى، ولكل صفة منها نوعاً وآحاداً، فنوعها أزلي ليس له أول ولا بداية، وآحادها حادثة متجددة تتعلق بمشيئته، وهي تابعة لنوعها، فليست بمخلوقة، وأن الله فرد واحد لا شريك له في أوليته وكماله، وما سواه مخلوق حادث، وأن لله تعالى الكمال المطلق من كل وجه، وتنزهه عن صفات النقص وأن لهذا الاسم آثار عظيمة في العلم والمعرفة في الخالق والمخلوق التي بها تحيا القلوب وتستنير بها الأفئدة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن معرفة معاني أسماء الله الحسنى والتعبد بها ومعرفة آثارها من أهم المطالب الدينية لتعلقها بالله تعالى، والعلوم تشرف بشرف متعلقها، ولا أشرف ولا أفضل من العلم بالله وأسمائه وصفاته، فهو أشرف مطلوب، وأجل مقصود، وهو أصل أركان الإيمان وأولها، وما بعدها تابع لها، ومفتاح دعوة الرسل وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها من أولها إلى آخرها[1]، وهو أحد الأصول العظيمة التي عليها تبنى دعوة جميع الأنبياء، فإنهم أرسلوا بالدعوة إلى الله عز وجل، وبيان الطريق الموصل إليه، وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه[2].

ولا تقتصر عظمة هذا العلم على عظمة متعلقها وهو الله سبحانه، بل يشرف أيضاً بما يحدثه من آثار عظيمة على الخلق، فإن العلم بأسماء الله وصفاته يدعو إلى محبة الله وتعظيمه، وإجلاله، وخشيته، ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكلما قويت هذه المعرفة في العبد عظم إقباله على الله، واستسلامه لشرعه، ولزومه لأمره، وبعده عن نواهيه.

والحياة الحقيقية للإنسان هي بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لهما إلا بمعرفة معبودها بأسمائه وصفاته ((وليست القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه))[3]، ((وكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد، والله تعالى ينزل العبد من

---

(1) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم (١٥٠/١).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١٤٨٩/٤).

(٣) الصواعق المرسلة (١٦١/١).

نفسه حيث ينزله العبد من نفسه))[1]، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تعوض عنها بما تعوض من الدنيا، وبهذا يدرك المسلم شرف هذا العلم، وفضله، وأنه من الأسس العظام التي قامت عليها دعوة الرسل، وأنه السبيل الوحيد لعز العبد وصلاحه في الدنيا والآخرة.

ولكل اسم من أسماء الله تعالى منزلة كبيرة، ومعاني عظيمة، وأسرار جليلة، يظهر أثرها على القلب والسلوك، فإذا أدرك العبد معنى الاسم من جميع جوانبه انعكست تلك المعرفة على صلاح قلبه واستقامة سلوكه، فإذا آمن العبد باسم (السميع) علم أن الله يسمعه، فلا يقول إلا خيراً، وإذا آمن باسم (البصير) علم أن الله يراه، فلا يفعل إلا خيراً، واسم (العظيم) يملأ القلب تعظيما لله وإجلالا له، واسم (الرحمن) محبة لله وشوقا له وحمدا وشكرا، وهكذا بقية الأسماء الحسنى، ((ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخالص، والإيمان الكامل الذي لا يحصل إلا للكمل من الموحدين))[2].

ومن تلك الأسماء العظيمة اسم (الأول) الذي تولى النبي -صلى الله عليه وسلم- تفسيره بنفسه، وما ذلك إلا لعظيم منزلته، وكبير أثره، ومن تتبع المسائل العقدية المتعلقة بهذا الاسم الشريف عرف مقدار هذا الاسم، وأهمية بحثه، واستخراج الدرر والفوائد العقدية، والآثار السلوكية التي يحصل بإدراكها وفهمها على معتقد السلف الصالح الأثر العظيم والنجاة من الوقوع في الشبهات العقدية في ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو ما سأبينه بالتفصيل الذي أسأل الله تعالى أن يعينني على تقديمه بصورة صحيحة موافقة لمعتقد السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

سائلا المولى تبارك وتعالى القبول والتوفيق والسداد، وما توفيقي إلا باللهسبحانه وتعالى.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تأتي أهمية هذا الموضوع وتظهر من الوجوه الآتية:

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية لابن عيسى (١/ ٢٤).

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن السعدي ص: ١٨١.

١ – عظم شأن أسماء الله الحسنى، وما تشتمل عليه من معاني عظيمة وأسرار جليلة تستدعي بذل الجهد في استخراجها، والعمل بها، ونشرها بين عموم المسلمين.

٢ – عظم أجر من اشتغل بإحصاء أسماء الله الحسنى، وهو دخول الجنة، ولا يأتى ذلك إلا ببذل الجهد في تتبع أسماء الله الحسنى دراسة وفهماً وتدويناً.

٣ – المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية في كتابة بحث يتعلق باسم من أسماء الله الحسنى يحصل به نفع المسلمين، وحصول الأجر إن شاء الله في الآخرة.

٤ – عدم وجود بحث مستقل في اسم الله (الأول)، يعتني ببحث مسائله وما يتعلق به من مسائل عقدية بصورة مفصلة[١].

٥ – كثرة المادة العلمية التي يدل عليها اسم (الأول) والتي تستدعي أن يفرد ببحث مستقل يلم شمل هذه المادة العظيمة.

٦ – خطورة الزلل في القضايا العقدية التي يدل عليها اسم (الأول) والتي تستلزم من طالب العلم أن يبين فيها الحق بدليله، حتى لا يقع عموم المسلمين فيما وقعت في الفرق الضالة من خلاف خطير في مسائل عقدية لها صلة كبيرة باسم (الأول) من مثل أزلية الأسماء الصفات، والقول بقدم العالم، وغير ذلك.

الأمور التي راعيتها في البحث:

راعيت بفضل الله تعالى في أثناء إعداد هذا البحث الأمور الآتية:

١ – عزو الآيات القرآنية ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٢ – تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما، وذكرت رقم الحديث فقط مقدما بحرف (ح:) وإن لم يخرجاه فإنني أجتهد في تخريجه من المصادر المعتمدة، وأذكر رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث، وأنقل كلام الأئمة في الحكم عليه.

---

(١) وقد استعنت ببعض الكتب التي كان لها أثر كبير في إثراء المادة العلمية في جوانب عدة لها صلة مباشرة باسم الأول، ومن تلك الكتب كتاب: الأسماء الحسنى معانيها وآثارها، رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية، لرفيع أوونلا، إشراف صالح السحيمي، وكتاب: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، ط: أضواء السلف، ط:١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٣ – حاولت قدر جهدي الاستدلال بالأحاديث الثابتة.

٤ – أحرص غالبا على الرجوع إلى التفاسير، وكتب شروح الحديث عند ذكر آية أو حديث لمعرفة كلام أهل العلم عنها.

٥ – التعريف بالفِرَق، وضبط الكلمات المشكلة، وتوثيق الأقوال وأما الأعلام فإني لم أترجم للصحابة لشهرتهم، وما عداهم أكتفي بذكر تاريخ الوفاة في أول موضع يذكر فيه اسمه.

٦ – أثبت في الآخر المصادر والمراجع التي استقيت منها البحث.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع وخطة البحث التفصيلية.

الفصل الأول: تعريف اسم (الأول) لغة واصطلاحا وأدلته ومن أثبته والأسماء المقاربة له.

وفيه أربعة مباحث.

المبحث الأول : تعريف اسم (الأول) لغة واصطلاحا.

المطلب الأول : معنى الأول في اللغة.

المطلب الثاني : معنى الأول في الاصطلاح.

المبحث الثاني : الأدلة النقلية والعقلية على إثبات اسم (الأول).

المطلب الأول : الأدلة النقلية على إثبات اسم (الأول) ومعناه.

المطلب الثاني : الأدلة العقلية على إثبات أولية الله تعالى.

المبحث الثالث : العلماء الذين أثبتوا اسم (الأول).

المبحث الرابع : الأسماء التي ذكرت بأنها بمعنى اسم (الأول).

الفصل الثاني : المسائل العقدية المتعلقة باسم (الأول).

وفيه ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: دلالة اسم (الأول) على أزلية ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

المطلب الأول: أزلية الذات العلية.

المطلب الثاني: أزلية أسماء الله الحسنى.

المطلب الثالث: أزلية صفات الله العلى.

المطلب الرابع: أزلية أفعال الله تعالى.

المبحث الثاني: دلالة اسم (الأول) على أن الله فرد واحد لا شريك له.

المطلب الأول: تفرد الله بالأولية.

المطلب الثاني: أن الله فرد واحد لا مثيل له.

المطلب الثالث: أن هناك موجودات غيره.

المبحث الثالث: دلالة اسم (الأول) على أن لله تعالى الكمال المطلق.

المطلب الأول: إثبات صفات الكمال لله التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

المطلب الثاني: تنزيه الله عن صفات النقص.

الفصل الثالث: آثار الإيمان باسم الأول.

أولاً: آثار أسماء الله قلبية وكونية.

ثانياً: آثار اسم الله (الأول).

الخاتمة.

* * *

الفصل الأول

تعريف اسم (الأول) لغة واصطلاحا، وأدلته، ومن أثبته، والأسماء المقاربة له.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف اسم (الأول) لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات اسم (الأول).

المبحث الثالث: العلماء الذين أثبتوا اسم (الأول).

المبحث الرابع: الأسماء التي ذكرت بأنها بمعنى اسم (الأول).

المبحث الأول: تعريف اسم (الأول) لغة واصطلاحا.

المطلب الأول: معنى الأول في اللغة:

١- تأسيس بنائه ومعناه في اللغة:

قال الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ): ((وفي أصله أربعة أقوال: هل هو (أَوْأَل[١]) عَلى أَفْعَل، أو فَوْعَل، (أَوْ وَوْأَل[٢]) بواوين، أو فَعَّل))[٣]. قلت: ورجح الأكثرون أنه على وزن(أَفْعَل)؛ قال القرطبي(ت٦٧١هـ): ((وأول: وزنه أَفْعَل، فاؤه وعينه واوان. قال ابن العربي(ت٥٤٣هـ): لا خلاف بينهم أن وزنه أَفْعَل))[٤]، وقال الزجاجي(ت٣٣٧هـ): ((وزن أوّل (أَفْعَل)، و فاؤه وعينه واوان، والدليل على أنه أَفْعَل وليس بفوعل كما ذهب إليه بعض النحويين اتصال (من) به، ولا تتصل إلا (بأفعل)، فيقال: (أنا أول من فلان)))[٥].

وقد رجح أبو منصور الأزهري(ت٣٧٠هـ) -بعد أن حكى الخلاف السابق- أن أصله (أأول) فقال: ((وقد قال بعض اللُّغويين في اشتقاق (الأول): إنه (أفعل)، من: آل يؤول، و(أُولى) فُعْلى منه، فكأنه (أول) في الأصل: أأول، فقُلبت الهمزة الثانية واواً وأُدغمت في الواو الأُخرى، فقيل: أوّل، وعُزي هذا القولُ إلى سيبويه(ت١٨٠هـ)، وكأنه من قولهم: آل يؤول، إذا نجا وسَبَق، ومثله: وأل يَئل، بمعناه))[٦].

---

(١) القاموس المحيط ص: ١٣٧٨.

(٢) القاموس المحيط ص: ١٣٧٨.

(٣) تاج العروس (٣١/٥٦).

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص: ١٥٣.

(٥) اشتقاق أسماء الله ص: ٢٠٤.

(٦) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٨).

وأما ما يتعلق بمعنى (الأول) في اللغة فقد تتبعت كلام علماء اللغة في دلالة مادة الهمزة والواو واللام فوجدتها لا تخرج عن أحد معنيين:

المعنى الأول: السبق والتقدم والابتداء، والمعنى الثاني: الرجوع والعود والمآل والعاقبة.

وقد بين ذلك ابن فارس(ت ٣٩٥هـ) جلياً في قوله: (((أول) الهمزة والواو واللام أصلان: ابتداء الأمر وانتهاؤه، أما الأوّل: فالأوّل، وهو مبتدأ الشيء... والأصل الثاني: قال الخليل(ت ١٧٣هـ): الأيّل الذكر من الوُعول، والجمع أيائل، وإنّما سمّي أيّلاً لأنّه يَؤُول إلى الجبل يتحصّن... وقولهم: آل اللّبنُ أي خَثُر من هذا الباب، وذلك لأنه لا يخثر إلاّ آخر أمره. قال الخليل أو غيره: الإيال على فِعالٍ: وعاء يُجمع فيه الشّراب أيّاماً حتّى يَجُود... وآلَ يَؤُول أي رجع، قال يعقوب (ت:٢٤٤هـ): يقال: (أَوَّلَ الحُكْمَ إلى أَهْلِه) أي أرجَعه وردّه إليهم... قال الخليل: آلَ اللّبنُ يَؤُولُ أَوْلاً وأُوُولاً: خَثُرَ... ومن هذا الباب تأويل الكلام، وهو عاقبتُهُ وما يؤُولُ إليه))[1].

وتفصيل ما سبق فيما يلي:

المعنى الأول: السبق والتقدم والابتداء: قال الزجاج(٣١١هـ): ((الأول: هو موضوع التقدم والسبق))[2]. وقال أبو منصور الأزهري: ((وقد قال بعض اللُّغويين في اشتقاق (الأول): إنه (أفعل)، من: آل يؤول...إذا نجا وسَبَق))[3]. و في المصباح المنير: ((و قال المحققون: وزنه أفعل، من آل يؤول، إذا سبق وجاء، ولا يلزم من السابق أن يلحقه شيء، وهذا يؤيد ما سبق من قولهم: أول ولد تلده، لأنه بمعنى ابتداء الشيء، وجائز ألّا يكون بعده شيء آخر، وتقول: هذا أول ما كسبت، وجائز ألّا يكون بعده كسب آخر، والمعنى هذا ابتداء كسبي))[4].

---

(1) معجم مقاييس اللغة (١/ ١٥٨-١٥٩).
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى ص: ٥٩.
(٣) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٨).
(٤) المصباح المنير (١/ ٣٠).

وقيل: ابتداء الشيء: قال الأزهري: ((وقال الزجّاج في قوله الله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾[آل عمران:٩٦]، قال: (أوّل) في اللغة على الحقيقة: ابتداء الشيء))[١].

وفسر البعض (الأول) بنقيضه فقيل: ضد الآخر[٢]، وقيل: نقيض الآخر[٣]، وزاد ابن منظور(ت٧١١هـ): ((الأول: المتقدم، وهو نقيض الآخر))[٤]، ومنه سمي مبتدأ الأعداد(أول)، جاء في المصباح المنير: ((و(الأَوَّلُ) مفتتح العدد، وهو الذي له ثان))[٥].

المعنى الثاني: الرجوع والعود والمآل والعاقبة والمصير:

(((أول) الأَوْلُ: الرجوع، آل الشيء يَؤُول أولاً ومآلاً: رَجَع، وأَوَّل إليه الشيء: رَجَعَه))[٦]

قال الأقليشي(ت٤١٠هـ): ((واشتقاقه من آل يؤول: إذا رجع، والأول: هو الرجوع، فكأن الأوّل هو الذي يرجع إليه من بعده، ألا ترى أن الأعداد كلها ترجع إلى الواحد الذي هو أوّلها وكل موجود في الوجود فمرجعه إلى الله الذي وجوده سابق على وجود الكل وهو الأوّل على الحقيقة، أي السابق وجوده وجود غيره، فهو اسم عيني له مع إضافته إلى كل موجود في الوجود))[٧].

وقال الأزهري: ((وأما (التأويل)، فقيل: من أَوَّلَ يؤوّل تأويلا، وثلاثيه: آل يؤول، أي رجع وعاد... وقال بعض العرب: أوّل الله عليك أمرك، أي: جمعه، وإذا دعوا عليه قالوا: لا أول الله عليك شملك، ويقال في الدعاء للمضل: أول الله عليك، أي رد الله عليك ضالّتك وجمعها لك))[٨].

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٧).

(٢) تاج العروس (٥٦/٣١)، والقاموس المحيط ص: ١٣٧٨.

(٣) الصحاح (١٨٣٨/٥).

(٤) لسان العرب (٧١٥/١١).

(٥) المصباح المنير (١/ ٢٩).

(٦) لسان العرب (١١/ ٣٢)، وانظر: كتاب العين (٨/ ٣٥٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٣١٤)، والصحاح (٤/ ١٦٢٨)، والنهاية في غريب الأثر (٨١/١) والمصباح المنير (١/ ٢٩)، والقاموس المحيط (ص: ١٢٤٤)، وتاج العروس (٣١/٢٨)، والمعجم الوسيط (١/ ٧٠)، المفردات في غريب القرآن. ص: ٣١.

(٧) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص: ١٥٣.

(٨) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٩).

٢ – أنواع الأولية والتقدم:

قال الراغب(ت٥٠٢هـ): ((فالأول هو الذي يترتب عليه غيره، ويستعمل على أوجه: أحدها: المتقدم بالزمان، كقولك: عبد الملك أولا ثم منصور، الثاني: المتقدم بالرياسة في الشيء وكون غيره محتذياً به، نحو الأمير أولاً ثم الوزير، الثالث: المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق: القادسية أولا ثم فَيْد[١]، وتقول للخارج من مكة: فَيْد أولا ثم القادسية، الرابع: المتقدم بالنظام الصناعي، نحو أن يقال الأساس أولا ثم البناء))[٢].

المطلب الثاني: معنى الأول في الاصطلاح:

اختلفت عبارات العلماء في تفسير اسم الله (الأول) اختلافا كثيرا[٣]، ومن أمثلة ذلك أن ابن العربي سرد عن العلماء في (الأول) خمس عبارات فقال: ((الأولى: أنه الموجود قبل الخلق، كان ولا شيء قبله، ولا معه، قاله عن ابن عباس، الثانية: أنه الذي لا ابتداء له، الثالثة: أنه الذي له كل شيء، وبه كل شيء، ومنه كل شيء، كما يقال: فلان أول هذا الأمر وآخره، الرابعة: أنه الأول بصفاته، الخامسة: أنه الأول بمحبته لأوليائه))[٤].

وقد اجتهدت في تتبع تلك التفاسير وبيان منطلق أصحابها والجمع بينها، وبيان أقربها للصحة، ووجدت أن أغلب هذه التفاسير ترجع لمعنيين جامعين هما معنى (الأول) في التعريف اللغوي، فالمعنى الأول: السبق والتقدم والابتداء في الوجود والرتبة، والمعنى الثاني: الرجوع، والعود، والمآل، والعاقبة فكل نعمة تحصل للمخلوقين فمرجعها ومآلها إلى الله تعالى.

---

(١) فيد: مدينة في ديار طيئ وجبلا طيئ منها على مسيرة يومين وفيها نخيل وزرع قليل لطيئ وبها ماء قليل يسكنها بادية من طيئ ينتقلون عنها في بعض السنة للمراعي. انظر: المسالك والممالك للاصطخري ص:٢٠ ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري (٣/ ١٠٣٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص:٣١، وانظر تقسيم الرازي فقد قسمه إلى ستة أقسام في تفسيره (٢٩/ ١٨٢-١٨٣).

(٣) من أمثلة ذلك ما ذكره فخر الدين الرازي في كتابه (لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات) ص:٣١١-٣١٢، فقد ذكر (٢٤) قولا في تفسير اسم (الأول).

(٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص:١٥١، نقل القرطبي هذا الكلام عن ابن العربي وقد بحثت في كتب ابن العربي التي بحوزتي فلم أجده.

ومن هذين المعنيين نأخذ أن الله تعالى ليس له غاية ولا نهاية لا في وجوده ولا في مزيد جوده، فهو السابق في وجوده ورتبته على كل موجود، وكل نعمة وفضل تحصل في الوجود فمرجعها ومآلها إلى الله تعالى في خلقها وإمدادها.

ويدل على ما ذهبت إليه قول القرطبي: ((لفظ أول يقال على أنحاء، من ذلك أولية التقدم، وهي تنقسم إلى قسمين: تقدم زمن، وتقدم مرتبة، وينقسم تقدم المرتبة إلى قسمين: تقدم شرف و فضيلة، كقولك: الأنبياء والعلماء أول الناس، أي أشرفهم، وتقدم مبدأ وسبب، كآدم ﷺ، فإنه أول الخلق وسبب وجودهم، فله -سبحانه- من أقسام الأولية القدم لا إلى أول، وله أولية الشرف والفضل، لأنه حاز الأسماء الحسنى كلها، وذلك بحقائقها، واتصف بصفات العلى على كمالها، فله الأولية في المراتب كلها وذلك ما عبر عنه الحق بقوله: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]))[١].

١- المعنى الاصطلاحي الأول لاسم (الأول): هو السابق والمتقدم على كل شيء في الوجود والرتبة.

عند تتبع أصحاب هذا القول الذين فسروا الأول بأنه السابق والمتقدم على غيره وجدت أن السبق جاء على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عموم سبق الله تعالى لغيره:

فأصحاب هذا القول يفسرون الأول بالسابق والمتقدم ولا يذكرون متعلق السبق، وفي أي أمر سبق، بل يجعلون سبقه عاما لكل شيء، فيشمل السبق في الوجود والسبق في الرتبة والكمال، فليست أولية الله تعالى محصورة في سبق ذاته للذوات ووجودها قبلها، بل أولية الله تعالى عامة، فهي أولية في وجود الذات التي تعني سبق الوجود على غيره، وكذلك سبق أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المتقدم على غيره في كل كمال، وكذلك سبق جوده و فضله، فما من نعمة على الخلق إلا وهو سببها وموجدها، وقد نبه على هذا العموم غير واحد من العلماء، قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ): ((إن التقدم على الشيء قد يقال: إنه بمجرد الرتبة، كما يكون بالمكان: مثل تقدم العالم على

---

(١) المصدر السابق ص: ١٥١.

الجاهل، وتقدم الإمام على المأموم، فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك، بل هو قبله حقيقة))[1].

ومن أشهر التعاريف لاسم الأول من هذا القسم[2] التعريف الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "أنت الأول فليس قبلك شيء". فالأول: الذي ليس قبله شيء، فاللفظ عام ينفي كل تقدم عليه، سواء كان في الوجود أو في الرتبة أو في الجود والفضل، وهنا فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- الإثبات بالنفي، فجعل هذه الصفة الثبوتية صفة سلبية لتوكيد الأولية، يعني أنها مطلقة، أولية ليست أولية إضافية، فيقال: هذا أول باعتبار ما بعده وفيه شيء آخر قبله فصار تفسيرها بأمر سلبي أدل على العموم باعتبار التقدم الزمني[3].

وقد اكتفى كثير من العلماء بهذا التفسير الوارد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وبينوا مكانته[4]:

قال أبو منصور الأزهري: ((وجاء في خبر مرفوع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في تفسير (الأول) في صفة الله ﷻ: أنه الأول، ليس قبله شيء... ولا يجوز أن نعدو هذا التفسير))[5]، وقال القرطبي: ((اختلف في معاني هذه الأسماء...وقد شرحها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شرحا يغني عن قول كل قائل))[6].

وقال ابن القيم(٧٥١هـ):

هو أول هو آخر هو ظاهر	هو باطن هي أربع بوزانِ
ما قبله شيء كذا ما بعده	شيء تعالى الله ذو السلطانِ

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/٣٩٠).

(٢) كل التعاريف الواردة عن العلماء في اسم (الأول) التي تدل على عموم السبق والتقدم داخلة في هذا القول إلا أني اكتفيت بذكر تعريف النبي ﷺ، فهو مقدم عليها.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/١٤٧)

(٤) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص:١٠، والإبانة الكبرى لابن بطة (٦/١٧٦)، وأصول السنة لابن زمنين ص:٦١، وتفسير البغوي (٥/٢٦)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي(٨/٢١٦)، وفتح القدير للشوكاني(٥/١٦٥) وغيرها كثير.

(٥) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٨) ونقله ابن منظور في لسان العرب (١١/ ٧١٥) بعبارة مقاربة.

(٦) تفسير القرطبي (١٧/٢٣٦).

ما فو قه شيء كذا ما دو نه ... شيء وذا تفسير ذي البرهانِ

فانظر إ لى ت فسيره ب تدبر ... وت بصر وتع قل لم عانِ

وانظر إلى ما فيه من أنواع مع ... ـرفة لخالقنا العظيم ا لشانِ[1]

قال السعدي(ت١٣٧٦هـ) –بعد أبيات ابن القيم السابقة –: ((ولهذا فسر المصنف هذه الأسماء الأربعة المباركة بما فسرها به النبي –صلى الله عليه وسلم – وقال:((وذا تفسير ذي برهان)) أي تفسير الرسول الذي كلامه أعلى مراتب البيان والإيضاح بعد كلام الله تعالى، فإنه مشتمل على إثبات معانيها ونفي ما ينافيها ويضادها))[2].

وقال الشوكاني(ت١١٧٣هـ): ((وقد فسر هذه الأسماء الأربعة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – كما سيأتي فيتعين المصير إلى ذلك))[3].

النوع الثاني: سبق الله تعالى لغيره في الوجود:

وقد وجدت أكثر العلماء يعرفون الأول بهذا المعنى، فهم ينصون على تقدم الله على غيره في وجود الذات، وسبب ذلك أن التقدم والسبق بالذات هو أشهر إطلاقات التقدم، وقد بين ذلك ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ) بقوله: ((فأما وصف (الأول) فأصل معناه الذي حصل قبل غيره في حالة تُبينُها إضافة هذا الوصف إلى ما يدل على الحالة من زمان أو مكان، فقد يقع مع وصف (أول) لفظ يدل على الحالة التي كان فيها السبق، وقد يستدل على تلك الحالة من سياق الكلام، فوصف (الأول) لا يتبين معناه إلا بما يتصل به من الكلام، ولا يتصور إلا بالنسبة إلى موصوف آخر هو متأخر عن الموصوف ب(أول) في حالة مّا، فقول امرىء القيس: ومُهلهل[4] الشعراء ذَاك الأول، يفيد أنه مهلهل سابق غيره من الشعراء في الشعر، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام:١٤] أي أولهم في اتباع الإسلام، وقوله﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾[البقرة:٤١]أي

(١) متن القصيدة النونية لابن القيم ص:٢٠٣.

(٢) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (٣٥٥/٦) ضمن مجموعة السعدي.

(٣) فتح القدير(١٦٦/٥)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس ص: ٧٧.

(٤) هو: عديّ بن ربيعة بن مرة، أبو ليلى، المهلهل، شاعر، من أبطال العرب في الجاهلية وهو خال امرئ القيس الشاعر. قيل: لقب مهلهلا، لأنه أول من هلهل نسج الشعر، مات نحو ١٠٠ق هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢٢٠/٤).

أي أولهم في اتباع الإسلام، وقوله﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾[البقرة:٤١]أي أولهم كُفراً وقوله: ﴿ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ ﴾[الأعراف:٣٩] أي أُولاهم في الدخول إلى النار، وأشهر معاني الأوَّلية هو السبق في الوجود، أي في ضد العدم، ألا ترى أن جميع الأحوال التي يسبق صاحبُها غيره فيها هي وجودات من الكيفيات، فوصف الله بأنه (الأول) معناه: أنه السابق وُجوده على كل موجود وُجد أو سيوجد، دون تخصيص جنس ولا نوع ولا صنف ولكنه وصف نسبي غير ذاتي، ولهذا لم يذكر لهذا الوصف هنا متعلِّق بكسر اللام، ولاما يدل على متعلَّق لأن المقصود أنه الأول بدون تقييد))[1].

وهذه بعض الأمثلة لتلك التعاريف[2]:

قال الزجاج: ((الأول: هو موضوع التقدم والسبق، ومعنى وصفنا الله -تعالى- بأنه أول: هو متقدم للحوادث بأوقات لا نهاية لها، فالأشياء كلها وجدت بعده وقد سبقها كلها))[3]، وقال الخطابي(٣٨٨هـ): ((الأول: هو السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، فاستحق الأولية إذ كان موجودا ولا شيء قبله ولا معه))[4]، وقد نقل الخازن(ت٧٤١هـ) في تفسيره عدة تعاريف للأول تدل على هذا المعنى فقال:((وقيل: هو الأول بوجوده ليس قبله شيء، وقيل: هو الأول بوجوده في الأزل، وقيل: هو الأول الذي سبق وجوده كل موجود، وقيل: هو الأول السابق للأشياء))[5].

ومن هذا الباب التعاريف التي فسرت الأول بالقديم: قال الزمخشري(ت٥٣٨هـ): ((هو الأول: هو القديم الذي كان قبل كل شيء))[6]، وقال القشيري(ت ٤٦٥هـ): ((والأول في وصفه بمعنى القديم الأزلي الذي لا ابتداء له))[7].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/٣٦٠).
(٢) انظر باقي المراجع في: تفسير الطبري (٢٣/١٦٨)، وتفسير البحر المحيط (٨/٢١٦)، والاعتقاد والهداية للبيهقي ص:٣٧، وتفسير أبي السعود (٨/٢٠٣)، وفتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان (١٣/٣٩٤)، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي بن سلطان القاري (١٦/٣٩٦)، وروح المعاني للآلوسي (٢٧/١٦٥)، والتفسير المنير لوهبة بن مصطفى الزحيلي (٢٧/٢٩٠).
(٣) تفسير أسماء الله الحسنى ص:٥٩-٦٠.
(٤) شأن الدعاء ص: ٨٨.
(٥) تفسير الخازن (٧/٣٠).
(٦) تفسير الكشاف (٤/٤٧٠)، وانظر: إحياء علوم الدين (١/٨٩).
(٧) التحبير في التذكير ص:٩٤، وكذلك قال: يمان كما في تفسير البغوي (٨/٢٩).

ومن ذلك أيضاً تعريف بعضهم: الأول: خارجاً. قال الآلوسي(ت١٢٧٠هـ): ((وقيل: الأول خارجاً، لأنه تعالى أوجد الأشياء، فهو سبحانه متقدم عليها في نفس الأمر الخارجي))[١].

النوع الثالث: سبق الله تعالى لغيره في الرتبة:

من الأولية أيضا تقدمه سبحانه على غيره تقدماً مطلقاً في كل وصف كمال، وهذا معنى الكمال في الذات والأسماء والصفات في مقابل العجز والقصور لغيره من المخلوقات، فلا يدانيه ولا يساويه أحد من خلقه، لأنه سبحانه منفرد بالكمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله[٢]. فكما أن الله تعالى متقدم وسابق لغيره في وجوده كذلك هو سبحانه متقدم وسابق لغيره في كماله وفي أسمائه وصفاته وأفعاله. فاسم (الأول) يدل على تقدم الله على غيره في الرتبة، وقد دلت الأدلة الشرعية والعقلية على ثبوت الكمال لرب العالمين، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾[الفاتحة:٢] وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠]. وقد استقر في فطر الناس أن الخالق أجل وأكبر وأعلى وأعلم وأكمل من كل شيء[٣].

ومن أمثلة ذلك تفسير (الأول) ببعض أسماء الله وصفاته وأفعاله، وقد بين ذلك القشيري فقال: ((وقيل إن هذه الأسماء إشارة إلى صفات أفعاله، فهو الأول بإحسانه والآخر بغفرانه، والظاهر بنعمه، والباطن برحمته))[٤]. ومن تلك التفاسير: ((سأل عمر – رضي الله عنه – كعباً عن هذه الآية فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن))[٥]، ومنه تفسير الأول بالغني فقالوا: الأول: هو الذي لا يحتاج إلى غيره، وقول بعضهم: هو المستغني بنفسه[٦].

٢ – المعنى الاصطلاحي الثاني لاسم (الأول): كل شيء آيل إليه وراجع له:

---

(١) روح المعاني (١٦٦/٢٧) وانظر: تفسير البيضاوي (٢٩٦/٥).

(٢) انظر: المعاني الإيمانية في شرح أسماء الله الحسنى الربانية لوحيد عبد السلام (٩٠/١).

(٣) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٤١/٥)، والقواعد الكلية للأسماء والصفات للبريكان ص: ٧٨-٨٦.

(٤) التحبير في التذكير ص: ٩٤.

(٥) تفسير البغوي (٢٩/٨).

(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص: ١٠٠.

من المعاني اللغوية لكلمة أول: أنه من آل يؤول أوْلاً، بمعنى رجع وصار، فالأول الذي كل شيء يؤول إليه ويرجع له في الخلق والإمداد، وهي تعني أن الخلق يرجعون ويحتاجون إلى إلههم في الإمداد كما احتاجوا إلية في الخلق، فكما أنه خلقهم وأنشأهم من العدم كذلك هو الذي أمدهم بالنعم الدينية والدنيوية، فكل نعمة تحصل للمخلوقين فمرجعها ومآلها إلى الله تعالى[1]، لأنه سببها وموجدها، قال ابن القيم: ((فبفضل الله ورحمته وجدت منه الأقوال الشريفة والمقامات العلية، وبفضله ورحمته وصلوا إلى رضاه ورحمته وقربه وكرامته وموالاته، وكان سبحانه هو الأول في ذلك كله كما أنه الأول في كل شيء... فهو أول كل شيء... فكما كان واحدا في إيجادك فاجعله واحدا في تألهك إليه))[2].

وقال ابن أبي العز(ت٧٩٢ هـ): ((وجاء الشرع باسمه (الأول)، وهو أحسن من (القديم)، لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنى))[3]، وقال السعدي: ((فالأول... يوجب للعبد أن يلحظ فضل كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه سبحانه))[4].

ومن هذا القبيل في تفسير اسم (الأول) كل تفاسير العلماء التي تذكر نعماً دينية أو دنيوية أحدثها الله تصل للعباد هي من هذا القبيل: قال السدي(ت١٢٨هـ): ((هو الأول ببره إذ عرّفك توحيده))[5]، وقال الجنيد(ت٢٩٧ هـ): ((هو الأول بشرح القلوب))[6]، وقال القشيري: ((وقيل الأول بحسن تعريفنا إياه، إذ لولا توفيقه وهدايته أولا لما عرفناه وقيل هو الأول بالهداية والآخر بالكفاية، وقيل الأول بالإسعاد والآخر بالإمداد))[7]، وقال البيضاوي(ت٦٨٥هـ): ((هو الأول الذي تبتدئ منه الأسباب))[8]، وقال الآلوسي: ((وقيل: هو الأول الذي تبتدي منه الأسباب، إذ هو سبحانه مسببها))[9].

---

(١) انظر: شرح مقدمة القيرواني لأحمد النقيب (٣/٢).
(٢) طريق الهجرتين ص: ٤٠-٤١.
(٣) شرح الطحاوية ص: ١٥٢.
(٤) الحق الواضح المبين (٥١٤/٦) المجموعة القطرية.
(٥) تفسير البغوي (٢٩/٨).
(٦) تفسير البغوي (٢٩/٨).
(٧) التحبير في التذكير ص: ٩٤.
(٨) تفسير البيضاوي (٢٩٦/٥).
(٩) روح المعاني (١٦٥/٢٧).

ومن خلال ما سبق عرضها من تعاريف يترجح لي أن تعريف اسم (الأول) يرجع لمعنيين جامعين أحدهما: يتعلق بسبق الله في الوجود، والآخر: يتعلق بسبق الله في النعم، وهما:

التعريف الأول: (الأول) هو السابق والمتقدم على كل شيء في الوجود والرتبة.

التعريف الثاني: (الأول) هو الذي كل شيء يؤول إليه ويرجع له في الخلق والإمداد.

* * *

المبحث الثاني: الأدلة النقلية والعقلية على إثبات اسم (الأول).

المطلب الأول: الأدلة النقلية على إثبات اسم (الأول).

لم يرد اسم (الأول) في القرآن إلا مرة واحدة، وأما في السنة فثبت من رواية أبي هريرة وأم سلمة وعائشة رضي الله عنهم، وقد اجتهدت في حصرها وبيان الحكم عليها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد:٣].

الدليل الثاني: أثبته النبي -صلى الله عليه وسلم- مفسراً في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر"[1].

الدليل الثالث: عن أم سلمة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم أنت الأول لا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل، ومن عذاب القبر، ومن فتنة الغنى، ومن فتنة القبر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم، اللهم نق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم بعِّد بيني، وبين خطيئتي كما بعدت بين المشرق والمغرب"[2].

---

(1) أخرجه مسلم: ح:٢٧١٣.

(2) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ح:١٣(١/ ٣٩)، والحاكم في المستدرك ح: ١٩٢٢(١/٧٠٥) و قال: هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه، والطبراني في الدعاء للطبراني ح:١٣٥٥ ح:١٣٥٦ ص: ٤٠٤، و في المعجم الأوسط: ح: ٦٢١٨ (٦/ ٢١٣)، و في المعجم الكبير للطبراني ح: ٧١٧ (٢٣/ ٣١٦)، و قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٧٨): ((رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن زنبور وعاصم بن عبيد وهما ثقتان))، و قال أيضاً في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٠): ((رواه الطبراني في الكبير ورواه في الأوسط باختصار بأسانيد وأحد إسنادي الكبير، والسياق له. ورجال الأوسط ثقات))، و قد أشار الحافظ ابن عبد البر إلى صحة الحديث وثبوته فقال: ((أما استعاذة رسول الله ﷺ من الفقر، فمحفوظة من وجوه، وكذلك دعاؤه أيضا في الغنى محفوظة من وجوه، حدثنا خلف بن القاسم حدثنا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديلي حدثنا عامر بن محمد بن عبد الرحمن القرمطي حدثنا محمد بن زنبور حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن سهل بن أبي صالح عن موسى بن عقبة عن عاصم بن أبي عبيد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم أنت الأول لا شيء قبلك...)) الحديث انظر كتاب التمهيد لابن عبد البر (٢٤/ ٥٢).

الدليل الرابع: عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من آخر ما يقول حين ينام وهو واضع يده على خده الأيمن وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك: "رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، أعوذ بك من كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر"[1].

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- فسر (الأول) بأنه الذي ليس قبله شيء، وقد وردت أحاديث أخرى في وصف الله تعالى بأنه: قبل كل شيء، ولم يثبت منها إلا حديث عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال -صلى الله عليه وسلم-: "كان الله ولم يكن شيء قبله"[2].

وفيما يلي ذكر الأحاديث التي لم تثبت والتي سمت الله تعالى باسم (الأول) أو وصفته بأنه: قبل كل شيء:

١- ورد اسم الأول في روايات سرد الأسماء عن أبي هريرة -رضي الله عنه- من طرقها الثلاث[3]، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن لله تعالى تسعة

وكما هو معلوم فإن تصحيح الحاكم وتوثيق الهيثمي فيه تساهل عند المحققين من أهل الحديث، فإن الحديث فيه عاصم بن أبي عبيد وهو مجهول، ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤٧٩/٦) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٤٩/٦) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في ثقاته (٢٣٨/٥).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ح: ١٠٥٥٧ (٢٩٠/٩)، وفي عمل اليوم والليلة ح: ٧٨٩ ص: ٤٦٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص: ٦٧٢، وابن عبد البر في التمهيد (٥٣/٢٤)، والحديث من رواية عائشة رضي الله عنها لم أجد من تكلم فيه على حسب علمي إلا في موقع على النت وهو موقع (إسلام ويب موسوعة الحديث) بدون ذكر الشيخ على رابط:

ttp://www.islamweb.net/hadith/dyntree1.php?type=1&sid=4049&bk_no=315&cid=1391

موسوعة الحديث على رابط:

ttp://www.islamweb.net/hadith/dyntree1.php?type=1&sid=4049&bk_no=315&cid=1391

(٢) أخرجه البخاري: ح: ٧٤١٨، وأحمد في المسند ح: ١٩٨٧٦ (١٠٨/٣٣)، وابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ح: ٦١٤٢ (١٠/١٤-١١)، وابن منده في التوحيد ح: ٨ (٨٣/١)، والبيهقي في السنن الكبرى ح: ١٧٧٠١ (٤/٩)، وإنما أطلت في التخريج مع أن البخاري يكفي في تخريجه للدلالة على أن لفظة «كان الله ولم يكن شيء قبله» لم يتفرد بها البخاري.

(٣) الطريق الأول: طريق الوليد بن مسلم: أخرجه الترمذي في سننه ح: ٣٥٠٧، كتاب الدعوات (٤٩) باب (٨٣) (٥٣٠/٥)، والطريق الثاني: طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني: أخرجه ابن ماجه في سننه

وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس... الأول الآخر الظاهر الباطن"(1).

٢ – عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: إن عثمان –رضي الله عنه– سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن تفسير: ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الزُّمَر:٦٣] فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما سألني عنها أحد قبلك، تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير"(2) وذكر الحديث.

٣ – عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم رجلا بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله، ثم قرأ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد:٣]"(3).

ح(٣٨٦١) كتاب الدعاء (٣٤)، باب (١٠) أسماء الله عز وجل (١٢٦٩/٢)، والطريق الثالث: طريق عبد العزيز بن الحصين: أخرجه الحاكم في المستدرك: (١٧/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (٣٣/١).

(1) حديث أبي هريرة في سرد الأسماء حديث ضعيف سندا ومتنا، فالحديث رواه البخاري ومسلم والترمذي من طريق أبي الزناد دون ذكر الأسماء، مما يدل على ضعف ما عداه من الطرق التي سردت الأسماء، وكثير من العلماء ذهبوا إلى إدراج الأسماء من بعض الرواة. قال ابن تيمية: ((إن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي، وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث)) مجموع الفتاوى (٤٨٢/٢٢)، وانظر: البغوي في شرح السنة (٣٥/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٣/١)، وابن كثير في تفسيره (٥١٦/٣)، وابن حجر في الفتح (٢١٧/١١)، وممن ضعف الحديث من المعاصرين: الألباني في ضعيف الجامع (١٧٨/٢–١٨٠)، وقال في صحيح ابن ماجه (٣٣٠/٢): صحيح دون الأسماء، والأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان (٨٩/٣–٩١)، وابن عثيمين في القواعد المثلى ص:١٥، وانظر: المقصد الأسنى في بيان ضعف سرد الأسماء الحسنى: لمحمد اللحيدان، ورسالة الأسماء الحسنى للغصن (١٢٧–١٥٠).

(2) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٦/١–٤٧)، والطبراني في الدعاء ح:١٧٠٠ ص:٤٨٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة ح:٧٣ ص:٦٨، وأبو يعلى في المسند الكبير كما في المقصد العلي (٣٢٦/٤) ح:١٦٤٧، والحديث لا يثبت، وحكم عليه غير واحد من الأئمة بالوضع. قال ابن الجوزي: ((وهذا الحديث من الموضوعات)) الموضوعات لابن الجوزي (١٤٥/١)، وقال البوصيري: ((قال الحافظ المنذري: وفيه نكارة، وقد قيل فيه: موضوع وليس ببعيد)) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٣٩٩/٦)، وكذلك حكم عليه بالوضع الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص: ٤٦٢)، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ح: ٣٩٨ (١٠١/١).

(3) أخرجه الترمذي ح: ٣٢٩٨ (٤٠٣/٥)، وأحمد في المسند ح: ٨٨٢٨ (٤٢٢/١٤)، وابن أبي عاصم في السنة ٥٧٨ (٢٥٥/١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٥٦٢/٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٨٨/٢)، والحديث منقطع، فالحسن لم يسمع من أبي هريرة، انظر: مجموع الفتاوى (٥٧١/٦) وقال الذهبي: ((الحسن مدلس والمتن منكر ولا أعرف وجهه)) العلو للعلي الغفار ص: ٧٤، وضعفه الألباني في ظلال الجنة (٢٥٥/١)، وشعيب الأرنؤوط في تحقيق مسند أحمد (٤٢٣/١٤). قال الترمذي: ((هذا حديث

٤ – عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "ليسألنكم الناس عن كل شيء حتى يقولوا: الله خلق كل شيء فمن خلقه؟" قال يزيد[1]: فحدثني نجبة بن صبيغ السلمي[2]: أنه رأى ركبا أتوا أباهريرة فسألوه عن ذلك فقال: الله أكبر ما حدثني خليلي بشيء، إلا وقد رأيته وأنا أنتظره، قال جعفر: بلغني أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا: الله كان قبل كل شيء، والله خلق كل شيء، والله كائن بعد كل شيء"[3].

٥ – عن ابن عمر وأبي سعيد –رضي الله عنهما– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لا يزال الناس يسألون عن كل شيء حتى يقولوا: هذا الله كان قبل كل شيء، فماذا كان قبل الله؟ فإن قالوا لكم ذلك، فقولوا: هو الأول قبل كل شيء فليس بعده شيء، وهو الظاهر فوق كل شيء، وهو الباطن دون كل شيء، وهو بكل شيء عليم"[4].

٦ – عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا يزال الناس يسألون حتى يقولوا: كان الله قبل كل شيء فما كان قبله؟"[5].

غريب من هذا الوجه... قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة، و فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف في كتابه))سنن الترمذي (٤٠٣/٥). وانظر معنى الحديث في مجموع الفتاوى (٥٧١/٦).

(١) هو: يزيد بن الأصم بن عبيد بن معاوية أبو عوف البكائي الكوفي نزيل الرقة أمه برزة بنت الحارث أخت ميمونة أم المؤمنين، وثقه: أبو زرعة والنسائي، مات سنة (١٠٣هـ) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣١٣/١١–٣١٤).

(٢) نجبة: أوله نون بعدها جيم مفتوحة وباء مفتوحة معجمة بواحدة، فهو نجبة بن صبيغ سمع أباهريرة، روى عنه شرحبيل بن شفعة ويزيد بن الأصم، ولم أجد من أرخ سنة وفاته أو تكلم فيه بتوثيق وتجريح، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥٠٩/٨) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا (٥٠٠/١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٥٦١/١٦)، وإسحاق بن راهويه في مسنده ح:٣١٩ (٣٣٠/١)، وابن أبي عاصم في السنة ح:٦٤٥، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢١/١). قال الألباني: ((وإسناد المرفوع صحيح، وأما بلاغ جعفر وهو ابن برقان فمعضل، وما بينهما موقوف))سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٣٦/١)، وقريب منه قول شعيب الأرنؤوط في تخريج مسند أحمد (٥٦١/١٦).

(٤) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ح:١١٥، وضعفه المباركفوري محقق الكتاب (٤١٣/١)، وجاءت رواية أبي سعيد الخدري عند الديلمي ح:٨٩٧٦، (٥٢٦/٥)، وفي الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء (٤٨٤/٢) وقال محققه نبيل سعد الدين: حديث ضعيف جدا، وأورده ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ (٢٧١٥/٥) وقال: رواه سوار بن مصعب: عن عطية، عن أبي سعيد الخدري. وسوار متروك الحديث، والمتن مشهور.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ح:٩٥٦٧ (٣٤٨/١٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٢/٥٧)، وأخرجه البزار في البحر الزخار (٢٩٥/١٥)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف مجالد: وهو ابن سعيد بن عمير الهمداني. عامر: هو ابن شراحيل الشعبي. مسند أحمد (٣٤٨/١٥).

٧ – عن ابن عباس –رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "من قال لا إله إلا الله قبل كل شيء، ولا إله إلا الله بعد كل شيء، ولا إله إلا الله يبقى ويفنى كل شيء، عوفي من الهم والحزن"[١].

٨ – عن محمد بن علي (ت ٨١هـ): أن النبي –صلى الله عليه وسلم – علم عليا –رضي الله عنه – دعوة يدعو بها عندما أهمه، فكان علي –رضي الله عنه – يعلمها ولده: "ياكائنا قبل كل شيء، ويا مكون كل شيء، ويا كائنا بعد كل شيء، افعل بي كذا وكذا"[٢].

٩ – عن ابن عمر –رضي الله عنهما – قال: كان من دعاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم – الذي كان يقول: "يا كائنا قبل أن يكون شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعدما لا يكون شيء، أسألك بلحظة من لحظاتك الحافظات الغافرات الواجبات المنجيات"[٣].

المطلب الثاني: الأدلة العقلية على إثبات أولية الله تعالى:

ذكر ابن تيمية إجماع أهل الملل والأديان على أن كل ما سوى الله فهو مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن[٤]، وذكر أنه قد استقر في فطر الناس أن السموات مخلوقة مفعولة، وقد أحدثها خالقها بعد أن لم تكن، ولم يخطر بالفطر السليمة أن السموات والأرض قد خلقتا مع الله أزلاً، قال ابن تيمية: ((اتفق سلف الأمة وأئمتها مع أئمة أهل الكتاب: أن هذا العالم خلقه الله وأحدثه من مادة كانت مخلوقة قبله... كل ما سوى الله مخلوق حادث كائن بعد أن لم يكن، وأن الله وحده هو القديم الأزلي، ليس معه شيء قديم تقدمه، بل كل ما سواه كائن بعد أن لم يكن، فهو المختص بالقدم، كما اختص بالخلق والإبداع والإلهية والربوبية، وكل ما سواه محدث مخلوق مربوب عبد له))[٥].

والحديث ورد عند مسلم (١/ ١٢٠) ح:٢١٥ بلفظ آخر ليس فيه موضع الشاهد: «لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟».

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح:١٠٦٩١، (١٠/ ٢٩٠). قال الألباني: موضوع، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ٦١٧)، (١١/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ح:١٦ (١/ ٢٣) وقال: هذا منقطع. والحديث إضافة لإرساله فيه مجهولين.

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ح:١٧ (١/ ٢٤)، وقال الألباني عن حديث ابن عمر: موضوع، انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ح: ٥٢٠٥، (١١/ ٣٤٧).

(٤) انظر: الصفدية (١/ ١٠، ١٣٠).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٢٣ –١٢٥)

ومع هذا الاتفاق على أولية الله تعالى إلا أن بعض شواذ بني آدم فسدت فطرهم، فأنكروا أولية الله تعالى، فتصدى لهم العلماء بذكر الأدلة العقلية التي ترد عليهم، وتصحح عقولهم، وجرت مناظرات في ذلك، ومن ذلك المناظرة التي جرت بين أبي حنيفة(ت١٥٠هـ) وأحد علماء الروم ((قال الرومي: أي شيء كان قبل الله تعالى؟ قال أبو حنيفة: هل تعرف العدد؟ قال: نعم، قال: ما قبل الواحد؟، قال: هو الأول ليس قبله شيء، قال: إذا لم يكن قبل الواحد المجازي اللفظي شيء، فكيف يكون قبل الواحد الحقيقي؟))[1]، وفيما يلي ذكر لبعض الأدلة العقلية[2]:

أولاً: إجماع العقلاء على تفرد الله بالقدم والأولية وعدم مشاركة أحد معه في ذلك، فإن ((انقسام الموجود إلى واجب: هو قديم أزلي، وإلى ممكن: هو محدث وجد بعد أن لم يوجد، معلوم بالضرورة لجميع العقلاء وعوامهم))[3].

ثانياً: ((الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعا للتسلسل، فإنا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) ﴾[الطور:٣٥]، يقول سبحانه: أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم؟ ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه، فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجوداً بنفسه بل إن

---

(١) ينظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم ص: ٣٦٧.

(٢) وقد ساق شيخ الإسلام عددا كبيرا من الأدلة الدالة على إثبات الصانع، دون الحاجة إلى تلك المقدمات الباطلة أو الظنية التي أتى بها أولئك المتكلمون، ونظرا لأن شيخ الإسلام ساق هذه الأدلة في مكان واحد فلعل الإشارة إلى موضعها يغني عن الإطالة بذكر نماذج منها، انظر: درء التعارض (٣/٩٨–١٢٧، ٢٦٥–٢٦٦). وأدلة إثبات الصانع هي أدلة لأولية الله، لأنه إذا ثبت أن الله وحده هو الصانع الخالق، وأن المخلوقات محدثة ممكنة، فإنه يعلم ضرورة أنه لا بد لها من صانع خالق واجب بنفسه تنتهي إليه، لئلا يلزم التسلسل الممتنع عند عامة العقلاء، وهو كون الموجود مفتقراً إلى موجود، والموجود إلى موجود، وهكذا.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ١٨٠)، وانظر نفس المرجع (١/١٢٥–١٢٦).

حصل ما يوجده وإلا كان معدوماً، وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه وعدمه بدلاً عن وجوده، فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له))[1].

ثالثاً: إجماع الخلق إلا من شذ منهم على امتناع الشرك في الربوبية باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، فالرب عندهم واحد، فإن كان واحدا فهو أول لكل ما سواه، لأن كل ما سواه مربوب له كائن به آت بعده، والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع[2]، وهو أنه لا يمكن وجود خالقين، وذلك لأنا لو فرضنا وجود خالقين ثم أراد أحدهما تحريك شيء وأراد الآخر تسكينه، فإن الأمر لا يخرج عن واحد من ثلاثة أمور: إما أن يتم ما أرادا جميعاً، وهذا مستحيل، لأن الضدين لا يجتمعان، وإما أن لا يتم مرادهما، وهذا دليل على عجزهما، أو يتم مراد أحدهما ويمتنع مراد الآخر، فيكون من تم مراده هو الإله، والآخر ليس إلهاً لأنه عاجز، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً[3].

وعلى ذلك فكل الأدلة العقلية الدالة على توحيد الربوبية فهي دالة على أولية الله تعالى، قال الرازي(٦٠٦هـ): ((فلما وصف الله تعالى نفسه بكونه أولاً وجب أن يكون فرداً سابقاً فوجب ألّا يكون له شريك))[4].

وقد نقل القاضي عياض(ت٥٤٤هـ) إجماع المسلمين على تكفير من اعتقد أن مع الله شريك في الأولية والأزل فقال: ((والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية، أو الوحدانية، أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر... أو أن معه في الأزل

---

(١) شرح الطحاوية ص:١١١-١١٢، وانظر: تفسير الرازي (٤٤٥/٢٩)، ومجموع الفتاوى (٤٩/١)، ودرء التعارض: (١٧٦/٥-١٧٤)،(١٢٠/٩)، والمواقف للإيجي (٨/٣)، والإنصاف للباقلاني ص:٣٣، والاسفراييني في التبصير في الدين ص:١٥٥، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي (ص:١٦-١٧)، وفتاوى عبد الرزاق عفيفي في، قسم العقيدة (ص:٢١٤)، وشرح الرسالة التدمرية لمحمد الخميس ص:١٢٦، والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص:٢٠٩.

(٢) انظر دليل التمانع عند المتكلمين في: اللمع للأشعري ص:٢٠-٢١، والتمهيد للباقلاني (ص:٢٥)، والمعتمد لأبي يعلى ص:٤١، والإرشاد للجويني ص:٥٣-٥٩، ونهاية الإقدام للشهرستاني ص:٩١-٩٧، والأربعين للرازي ص:٢٢١-٢٢٦، ومذكرة التوحيد لعبد الرزاق عفيفي ص:٣٠، ويقرر ابن تيمية أن دليل التمانع دليل صحيح، موصل إلى المطلوب في إثبات وحدانية الله في ربوبيته، انظر: درء التعارض (٣٥٤/٩)، ولكنه يرد على الأشاعرة لوقوعهم في خطأين في هذا الدليل، انظر تفصيله في: شرح الأصفهانية (ص:١٠٤-١٠٥)، اقتضاء الصراط المستقيم (٨٤٦/٢)، ومنهاج السنة (٣١٤/٣)، ودرء التعارض (٣٦٩/٩-٣٧٨)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١٠٢١/٣).

(٣) انظر: شرح الطحاوية ص:٨١.

(٤) تفسير الرازي (١٣٠/٢٢).

شيئا قديما غيره، أو أن ثم صانعاً للعالم سواه أو مدبراً غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين))[1].

رابعا: من أثبت أن الله تعالى هو الخالق وحده فإنه يلزمه أن يثبت تقدمه على من خلقه وإلا لما كان خالقاً فاعلاً: قال ابن تيمية: ((ومن المعلوم ببديهة العقل أن الفاعل للشيء لا بد وأن يكون متقدماً عليه، سواء سمي علة أو لم يسمَّ. فإذا كان الفاعل لا يكون إلا متقدماً على الفعل وعلى أصلهم يمتنع أن يكون متقدماً عليه، امتنع عندهم أن يكون رب العالمين أو خالقاً للعالم))[2].

خامساً: القول بعدم أولية الله تعالى يؤدي إلى خلو المحدَث والمخلوق من محدِث وخالق، لأن المحدِث والخالق لا بد أن يكون سابقاً وأولاً، وهذا ممتنع الوقوع عقلا وشرعا باتفاق العقلاء من بني آدم[3].

سادساً: القول بعدم أولية الله تعالى يفضي إلى الجمع بين النقيضين، وهو كون الخالق مخلوقاً، والفاعل مفعولاً، وهذا ممتنع[4].

سابعاً: القول بأن العالم كله قديم، وأن الله ليس بأول له، ينتهي بإنكار خالق للكون[5].

* * *

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٦٠٤-٦٠٦)، وانظر: درء التعارض (١/ ١٢٩).
(2) بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٢٠٩)
(3) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص:٢١١.
(4) انظر: المرجع السابق ص:٢١١.
(5) انظر: الصفدية (٢/ ١٥٩)، والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص:٢١١.

المبحث الثالث: العلماء الذين أثبتوا اسم (الأول).

قال القرطبي -عن اسم الأول والآخر-: ((وأجمعت الأمة على التسمية بهما))[1]. وأورد اسم الأول جميع من اعتنى بجمع الأسماء الحسنى وشرحها بلا استثناء فقد ورد اسم الأول في روايات سرد الأسماء عن أبي هريرة من طرقها الثلاث كما سبق، وجاء في جمع جعفر الصَّادق(ت ١٤٨هـ)[2]، وسفيان بن عيينة(ت ١٩٨هـ)[3]، وأثبته: الزجاجي[4]، والخطابي[5]، وابن منده (ت ٣٩٥هـ)[6]، وابن حزم (ت ٤٥٦هـ)[7]، والبيهقي (ت ٤٥٨هـ)[8]، والأصبهاني (ت ٥٣٥ هـ)[9]، وابن العربي[10]، وابن تيمية[11]، وابن القيم[12]، وابن الوزير(ت ٨٤٠هـ)[13]، وابن حجر(ت ٨٥٢هـ)[14]، وابن سعدي[15]، وابن عثيمين(ت ١٤٢١هـ)[16]، وغيرهم من العلماء[17].

* * *

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص: ١٥٠.

(٢) فتح الباري(٢١٧/١١).

(٣) فتح الباري(٢١٧/١١).

(٤) اشتقاق أسماء الله ص: ٢٠٤.

(٥) شأن الدعاء ص(٢٢٨).

(٦) التوحيد لابن منده(٨٢/٢).

(٧) المحلى بالآثار(٢٨٢/٦).

(٨) الأسماء والصفات(٣٨/١).

(٩) الحجة في بيان المحجة(١١٩/١).

(١٠) انظر: أحكام القرآن(٨٠٨/٢).

(١١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية(٥٥/١).

(١٢) متن القصيدة النونية لابن القيم ص:٢٠٣

(١٣) إيثار الحق على الخلق ص(١٦٠).

(١٤) فتح الباري(٢١٩/١١).

(١٥) تفسير السعدي ص(٩٤٦).

(١٦) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص(١٥).

(١٧) انظر كتاب معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد التميمي (ص: ١٤٢) فقد فصل في ذكر من أورد اسم (الأول) فأجاد.

المبحث الرابع: الأسماء التي ذكرت بأنها بمعنى اسم (الأول):

لم يرد اسم لله تعالى في الكتاب والسنة بمعنى سبق وتقدم إلا اسم (الأول)، وبقية الأسماء التي ذكرها أهل الكلام[١] لا يصح إطلاقها على الله تعالى على وجه التسمية والتعبد، وإنما يجوز إطلاقها على وجه الإخبار، وهذه المسألة مؤصلة عند أهل السنة، وبيانه فيما يأتي:

من أصول توحيد الأسماء عند أهل السنة والجماعة: أن أسماء الله توقيفية في التسمية على ما وردت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لفظاً ومعنى، ولامجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص[٢]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، قال الخازن: ((يعني ادعوا الله بأسمائه التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله، ففيه دليل على أن أسماء الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية، ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده أنه: يجوز أن يقال: يا جواد، ولا يجوز أن يقال: يا سخي، ويجوز أن يقال: يا عالم، ولا يجوز أن يقال يا عاقل، ويجوز أن يقال: يا حكيم، ولا يجوز أن يقال: يا طبيب))[٣].

ولا يعني قولنا: إن أسماء الله تعالى توقيفية عدم جواز الإخبار عن الله بما لم يرد في الكتاب والسنة مما يراد به إثبات ما له من الكمال، سواء كان دالا على معنى حسن كالأسماء والصفات، أو معنى ليس بسيء وإن لم يوصف بالحسن[٤]، وعلى ذلك فإنه يخبر عن الله تعالى بلفظ القديم والأزلي والقائم بنفسه وواجب الوجود، ولا يدخل في أسمائه وصفاته العلية، قال ابن القيم: ((إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء الموجود

---

(١) أهل الكلام: هم المشتغلون بعلم الكلام، ويعرفونه بأنه: (علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه)، وطريقتهم أنهم يشتغلون ببحث مسائل أصول الدين معتمدين على طرق عقلية وفلسفية تخالف الكتاب والسنة، وفيه تقديم ما تدل عليه عقولهم على الكتاب والسنة، ومن فرقهم: الجهمية والمعتزلة وغيرهما، انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/١٧٨)، والمواقف للإيجي ص٢٧، وشرح المقاصد للتفتازاني (١/١٦٣-١٦٦).

(٢) انظر: القواعد المثلى ص:١٣، والقواعد الكلية للبريكان ص:١٣٧.

(٣) تفسير الخازن (٢/ ٣١٩).

(٤) القواعد الكلية ص:١٤١.

والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه بعض ما لم يرد به السمع))[1].

وتتبعت الأسماء التي ذكر أنها بمعنى (الأول) أو تدل عليه فتحصل ما يأتي:

١ - القديم:

إدخال لفظ (القديم) في أسماء الله تعالى مشهور عند أكثر أهل الكلام، وهو مرادف عندهم لاسم الله (الأول)[2]، وعمدتهم رواية ابن ماجه(ت ٢٧٣هـ) التي فيها زيادة تعيين التسعة والتسعين اسما، فالاسم الثامن والتسعون هو لفظ (القديم).

وقد بين محمد الأمين الشنقيطي(ت ١٣٩٣هـ) معنى القدم عند المتكلمين بقوله: ((إن القدم والبقاء الذين وصف المتكلمون بهما الله جل وعلا زاعمين أنه وصف بهما نفسه في قوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾[الحديد: ٣]، والقدم في الاصطلاح: عبارة عن سلب العدم السابق، إلا أنه عندهم أخص من الأزل، لأن الأزل عبارة عما لا افتتاح له سواء كان وجوديا كذات الله وصفاته أو عدمياً، والقدم عندهم عبارة عما لا أول له بشرط أن يكون وجودياً، كذات الله متصفة بصفات الكمال والجلال))[3].

ويعتبر المعتزلة[4] أن لفظ (القديم) أخص اسم لله تعالى، ويجعلون القدم الصفة الوحيدة التي يفرق بها بين ذات الله تعالى وذوات المخلوقين، فذات الله عندهم تمتاز عن غيرها من الذوات بالصفات التي تختص بها، كوجوب الوجود، والقدرة التامة، والعلم التام[5]، قال القاضي عبد الجبار(٤١٥هـ): ((القديم ما لا أول لوجوده، والله تعالى هو الموجود الذي لا أول لوجوده، ولهذا وصفناه بالقديم))[6].

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٧٠).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص: ١١٢، والتحرير والتنوير (٢٧/٣٦٠)، والتحفة المهدية لفالح آل مهدي ص: ٤٢.

(٣) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ١٧.

(٤) المعتزلة: سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، وتبعه عمرو بن عبيد، ولقولهم بأن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بينهما، ويجمعهم القول بنفي الصفات عن الله تعالى، والقول بأن القرآن مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، وأنه ليس خالقاً لأفعال العباد، ويسمون القدرية والعدلية. انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/٢٣٥)، والفرق بين الفرق للبغدادي ص: ١١٢، والتبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ص: ٦٣ -٦٧.

(٥) انظر: الأسماء الحسنى معانيها وآثارها والرد على المبتدعة فيها لرفيع أوونلا ص: ٣٨٥.

(٦) شرح الأصول الخمسة ص: ٦٦.

وكذلك الأشاعرة[1] يعتبرون القديم من أسماء الله تعالى: قال الغزالي(ت٥٠٥هـ): ((نقول إنه قديم، وإن قدرنا أن الشرع لم يرد به))[2]، ولما شرح الرازي الأسماء الحسنى الواردة في حديث سرد الأسماء قال: ((اعلم أنه قد ورد في القرآن والأخبار والآثار أسماء كثيرة سوى هذه الأسماء))، ثم ذكر منها اسم القديم[3].

وقد أنكر تسمية الله تعالى بالقديم كثير من السلف والخلف[4]، قال ابن حزم: ((ومما أحدثه أهل الإسلام في أسماء الله عز وجل القديم، وهذا لا يجوز ألبتة، لأنه لم يصح به نص ألبتة، ولا يجوز أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه))[5]، وقد استدلوا على عدم ثبوت لفظ القديم اسماً لله تعالى بأدلة منها:

١- أنه اسم محدث لم يرد في الكتاب أو السنة، وأسماء الله تعالى توقيفية، فلا يسمى إلا بما سمى به نفسه، أو بما سماه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((فهذا اللفظ لا يوجد لا في كتاب الله، ولا في سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- بل ولا جاء اسم القديم في أسماء الله تعالى، وإن كان من أسمائه الأول))[6].

٢- القديم من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً؛ ومذهب السلف فيها التوقف في لفظها والتفصيل في معناها، فيُستفصل عن معناه، فإن أريد به ما هو حق قُبل وإن أُريد به ما هو باطل رُدّ، وأما اللفظ فيتوقف فيه؛ فإن كان المعنى حقاً عبر بالألفاظ والكلمات الشرعية.

٣- معنى القديم في اللغة لا يدل على الكمال المطلق: فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو الحادث المتقدم على غيره، فيقال هذا قديم للعتيق وهذا حديث

---

(١) الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري الذي هم على منهجه بعد رجوعه عن الاعتزال وقبل أن يرجع إلى معتقد السلف، وهم لا يثبتون من الصفات إلا سبعاً، ويؤولون بقية الصفات، ويصرفونها عن ظاهرها بتأويلات عقلية، وينفون عن الله علو الذات، ويقولون الإيمان هو التصديق، ولهم خلافات أخرى، وهم مع ذلك يوافقون أهل السنة في غالب أصول الاعتقاد. انظر من كتبهم: الإرشاد للجويني، والمحصل للرازي، والمواقف للإيجي، وانظر الملل والنحل: ٨١/١.

(٢) المقصد الأسنى ص:١٧٦.

(٣) انظر: شرح أسماء الله الحسنى ص:٣٤٠.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص:١١٢، والتحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ص: ٤٢.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٧/٢).

(٦) منهاج السنة (٦٨/٢).

للجديد، ولم يستعمل هذا إلا في المتقدم على غيره -لا فيما لم يسبقه عدم- سواء كان التقدم في الزمان، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩﴾[يس:٣٩] والعرجون القديم هو الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الحديث قيل للأول قديم، أو كان التقدم في المكان، كما في وصف فرعون في قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[هود: ٩٨]، فليس معنى لفظ القديم هنا ما لم يسبقه العدم كما هو في معنى لفظ (الأول) الذي يشعر بأن ما بعده آيل إليه، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة[1].

٤- والحاصل أن القديم ليس من أسماء الله تعالى، لكن يصح إطلاقه على الله من باب الخبر لا من باب التسمية، لأن باب الأخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، قال ابن القيم: ((ويجب أن تعلم هنا أموراً: أحدها: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء والموجود والقائم بنفسه، فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا))، ثم قال: ((السابع: أن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفيا، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه: هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟))[2].

٢- الأزلي:

الأزل ليس شيئا محدوداً، قال ابن تيمية: ((وليس الأزل وقتاً محدوداً بل هو عبارة عن الدوام الماضي الذي لا ابتداء له الذي لم يسبق بعدم الذي ما زال))[3]، وقال الرازي: ((الأزلي وهذا اللفظ يفيد الانتساب إلى الأزل، فهذا يوهم أن الأزل شيء حصل ذات الله فيه وهذا

---

(١) انظر: التحفة المهدية (١/ ٤٢).

(٢) بدائع الفوائد (١/١٧٠)، وانظر: تهذيب اللغة (٩/٥٥)، ومختار الصحاح: (١/٥٦٠)، تفسير الفخر الرازي ص: ٧٧. وشرح العقيدة الطحاوية ص: ١١٢، والتحفة المهدية ص: ٤٢، وشرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ص: ٢٨، ومجلة البحوث الإسلامية (١٥/ ٢٦٠)، وفتاوى اللجنة الدائمة (٢/٤٠٦)، وشرح العقيدة الطحاوية للبراك ص: ٤٠، وشرح العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ ص: ١٣٦.

(٣) الصفدية (١/٢٨٣) وانظر: أيضاً: (٢/٤٦).

باطل، إذ لو كان الأمر كذلك لكانت ذات الله مفتقرة إلى ذلك الشيء ومحتاجة إليه وهو محال، بل المراد وجود لا أول له البتة))[1].

وكلمة أزلي منسوبة إلى (الأزل) وهو ما ليس بمسبوق بالعدم، أو منسوبة إلى قولهم: لم يزل، بعد اختصاره بحذف (لم) لإمكان النسبة إليه، وإبدال يائه ألفاً كما قالوا: نصل أثربي، نسبة إلى يثرب[2]، ومعنا (أزلي): الماضي الذي لا حد له، وليس له بداية أبداً وهي بمعنى أولية الله تعالى، وقد استخدمها ابن عباس رضي الله عنهما فقال: ((فإنه لم يزل ولا يزال هو الأول والآخر والظاهر والباطن))[3]، والخطابي في قوله: ((الأول هو: السابق للأشياء كلها، الكائن الذي لم يزل قبل وجود الخلق، إذ كان موجوداً ولا شيء قبله ولا معه))[4].

٣ – واجب الوجود:

الواجب هو المستقر الثابت، وواجب الوجود عبارة أحدثها الفلاسفة والمتكلمون فإنهم إذا قسموا الأشياء قالوا: الشيء: إما أن يكون واجب الوجود، أو ممكن الوجود أو ممتنع الوجود، قال الرازي: ((واجب الوجود لذاته، ومعناه أن ماهيته وحقيقته هي الموجبة لوجوده، وكل ما كان كذلك فإنه يكون ممتنع العدم والفناء، واعلم أن ما كان واجب الوجود لذاته وجب أن يكون قديماً أزلياً))[5].

وهذه العبارة لا تعرف في كلام الشارع ولا في كلام السلف، لكن معناها ثابت في كلام الشارع، فإن معنى واجب الوجود عند أهل هذه العبارة هو الموجود الذي لم يسبق وجوده عدم، ووجوده من ذاته لذاته، لا من سبب خارج، ولا لعلة خارجة.

والصواب: ضرورة التزام الألفاظ الشرعية في مقام تقرير اعتقاد أهل السنة والله سبحانه واجب الوجود من جهة أنه هو الأول؛ ولهذا لا يعبر بهذا الاصطلاح كتقرير

---

(١) تفسير الفخر الرازي (١/١١٠).

(٢) انظر: القاموس المحيط ص: ١٢٤١، وتاج العروس (٢٧/ ٤٤٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٨) و قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في تلخيصه ح: ٣٤٨٩: صحيح، وأخرجه ابن منده في التوحيد (١/ ١٠٨).

(٤) شأن الدعاء: ص: ٨٧، انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ١١٤)، والتحفة المهدية ص: ٥١، وشرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ٣٨٣)، وشرح العقيدة الطحاوية للبراك ص: ٣٩، وشرح العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ (١/ ١٣٠).

(٥) تفسير الفخر الرازي (١/ ١١١)، وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني (٤/ ٢٧).

لاعتقاد أهل السنة، وإن كان إذا عرض في باب الرد على المخالف يكون صواباً لكن في تقرير قول أهل السنة يقال: إن الله هو الأول ليس قبله شيء، كما جاء في القرآن: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣]، وثبت في الصحيح[١] أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في دعائه: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء"[٢].

٤ - القائم بنفسه:

ومعناه أنه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه، فوجوده ثابت لذاته غير مستمد من وجود آخر، فهو يستلزم القدم الذي لا أول له، والبقاء الذي لا آخر له ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾[٣].

* * *

(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: شرح مختصر الروضة لأبي الربيع الصرصري (٥٦/١).
(٣) انظر: التبصير في الدين ص: ١٥٦ وتفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا (٦٢/١)

الفصل الثاني: المسائل العقدية المتعلقة باسم (الأول)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: دلالة اسم (الأول) على أزلية ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله

المبحث الثاني: دلالة اسم (الأول) على أن الله فرد واحد لا شريك له.

المبحث الثالث: دلالة اسم (الأول) على أن لله تعالى الكمال المطلق.

أسماء الله تعالى كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ومن تدبرها وجدها كاملة تدل على كل كمال، ومن ذلك اسم (الأول)، وهو لا يعني مجرد التقدم على غيره أوأنه ليس قبله شيء، بل له دلالات ولوازم تدل على كمال الله تعالى من وجوه عدة ويمكن بيان ذلك من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: دلالة اسم (الأول) على أزلية ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

يدل اسم (الأول) على أنه تعالى أول بذاته[1] وأسمائه وصفاته ليس قبله شيء[2]، و(أوليته) سبحانه بمعنى (الأزلية)، يعني أنه تعالى انفرد بالوجود أزلاً قبل بدء الخلق بذاته وأسمائه وصفاته ليس قبله شيء في ذلك.

قال أبوسعيد الدارمي(ت٢٨٠هـ): ((وليس لأزلية الله حد ولا وقت، لم يزل ولايزال وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال))[3]، وقال ابن أبي زيد القيرواني(ت٣٨٦هـ):((وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة))[4]، وقال ابن عبد البر(ت٤٦٣هـ): ((هو الأول والآخر والظاهر والباطن والذي عليه جماعة أهل السنة والجماعة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه، ليس لأوليته ابتداء

---

(١) لفظ الذات تأنيث (ذو) ولفظ (ذو) مستلزم للإضافة، وهذا اللفظ مولد، وأصله أن يقال: ذات علم، وذات قدرة وذات سمع، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾[الأنفال:١]، ويقال: فلانة ذات مال وجمال، ثم لما علموا أن نفس الرب ذات علم وقدرة وسمع وبصر ردا على من نفى صفاتها عرفوا لفظ الذات وصار التعريف يقوم مقام الإضافة، وأجروه مجرى الأسماء المستقلة، ونسبوا إليه من غير حذف التاء، بحيث إذا قيل لفظ الذات فهو ذات كذا، فالذات لايكون إلا ذات علم قدرة ونحوه من الصفات لفظا ومعنى انظر: تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة لسليمان بن سحمان ص: ٧٨.

(٢) القواعد الكلية للأسماء والصفات ص: ٢٥٧.

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي (١/١٦٣)

(٤) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص: ٥٧)

ولا لآخريته انقضاء))[1]. وقال البغوي(ت٥١٦هـ): ((ويجب أن يعتقد أن الله عز اسمه قديم بجميع أسمائه و صفاته، لا يجوز له اسم حادث، ولا صفة حادثة. كان الله خالقاً ولا مخلوق، ورباً ولا مربوب، ومالكاً ولا مملوك... هو الأول والآخر...))[2]. وقال ابن تيمية: ((إن الرب لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال كما وصفه أئمة السنة))[3].

وتقرير أصل أولية الذات والأسماء والصفات من وجوه[4]:

١. أن أسماءه وصفاته تابعة لذاته وتحذو حذوها، فكما أن ذاته أولية قديمة غير مخلوقة فكذلك أسماؤه وصفاته[5].

٢. أن أسماء الله وصفاته من كلامه، وكلامه تعالى غير مخلوق، فأسماؤه وصفاته غير مخلوقة.

٣. اتفاق الأمة على أن من حلف باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته أنه حالف بالله.

٤. ما قرره الفقهاء من أن اليمين المكفرة هي ما حلف فيه بالله أو اسم من أسمائه أو صفة من صفاته، قال الشافعي: ((من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة أو بالصفا والمروة فليس عليه الكفارة، لأنه مخلوق، وذاك غير مخلوق))[6].

٥. ما علم من أن الصفة يمتنع وجودها بلا موصوف تقوم به، ولا يقوم بالموصوف إلا ما يناسبه، فإذا كان الموصوف هو الخالق فصفاته غير مخلوقة، وإذا كان الموصوف هو المخلوق فصفاته مخلوقة[7].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٥٧/١)

(٢) شرح السنة (١٨٠/١).

(٣) الصفدية (٨١/١-٨٢).

(٤) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات ص:١٢١، والنهج الأسمى (٢٥/١)، وأسماء الله الحسنى لعبد الله الغصن ص:٤٣.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل (٦٩/٣).

(٦) آداب الشافعي ومناقبه لابن المنذر ص: ١٤٨.

(٧) مجموعة الرسائل والمسائل (٦٩/٣).

٦. ما يلزم من القول بخلق أسمائه وصفاته من اجتماع النقيضين: وهو كون المخلوق خالقا، إذ لا يعقل في الوجود خالق صفاته وأسماؤه مخلوقة، لكن يعقل مخلوق صفاته مخلوقة.

٧. أن لازم القول بخلق أسماء الله وصفاته كون ذاته مخلوقة، وهذا ما لا يقوله مسلم.

٨. أن من قال: إن أسماء الله وصفاته مخلوقة يلزمه أن الله مجهول حتى وضع له الخلق اسماً وصفة[١].

المطلب الأول: أزلية الذات العلية:

١- امتناع وجود ذات بدون أسماء وصفات[٢]:

الباري أزلي لا أول له، والأسماء والصفات والأفعال تابعة للذات، فيمتنع فرض ذاته بدون أسمائه الواجبة له معانيها أزلا، فلا تكون إحداهما إلا بالأخرى، أي لا ذات بلا اسم، ولا اسم بلا ذات، فالذات إذن مستلزمة للأسماء الحسنى والصفات العلى، واتصافه بصفات الكمال الممكنة هو من لوازم ذاته، لا يحتاج في ثبوتها له إلى غيره، وهو الأول الذي ليس قبله شيء[٣].

ووجود أسماء الله تعالى وصفاته رمز كماله، وعلامة وجوده، إذ ما لا صفة له لا تحقق له في العيان، ولا وجود له إلا في الأذهان[٤] فالأسماء والصفات داخلة في مسمى الذات، على معنى أنه لا تعقل ذاته إلا بها، إذ ما لا وصف له ولا اسم لا حقيقة له في الوجود العيني وهو يعني أن الله سبحانه أول ليس قبله شيء، متصف بصفات الكمال قبل خلقه لكل شيء، وكما أنه في ذاته أول بلا ابتداء فكذلك أسماؤه وصفاته تابعة لذاته فلم يكن أولا بلا أسماء ولا صفات ثم سماه الناس وحدثت له الصفات، لأن قولهم هذا يلزم منه أن يكون ناقصاً في فترة، ثم اكتسب كمالاً لم يكن من قبل.

---

(١) معارج القبول لحافظ حكمي (١/ ١٢٠).

(٢) انظر: شرح حديث النزول لابن تيمية ص: ٨، وتنبيه ذوي الألباب السليمة ص: ٧٨. والقواعد الكلية ص: ٣٧٩-٣٨٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٤).

(٤) انظر: القواعد الكلية ص: ٨٨.

٢ - تعدد أسماء الله وصفاته دال على كماله ولا يعني تعدد ذاته وأوليته[١]:

سبق أن الذات لا بد أن تكون لها أسماء وصفات تميز وجودها، ولا تعقل ذات إلا بها وأسماء الله وصفاته كثيرة، ولا تعني كثرتها وتعددها تعدد الذات، بل هي دالة على كمال الذات، وبيان هذا الأصل العظيم من وجهين:

الوجه الأول: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة، لدلالتها على مسمى واحد وذات واحدة، وهو الله ﷻ، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص، وتعدد هذه الأسماء الحسنى لا يستلزم تعدد الذات، لكنه يقضي بتعدد الصفات التي تدل عليها الأسماء[٢].

الوجه الثاني: أن تعدد صفات الواحد، وتكثر أسمائه الدالة على صفاته وقيام الأمور المتجددة به، دليل على كمال الموصوف، فإن كل اسم يدل على معنى كمالي لا يدل عليه الاسم الآخر، وكذلك الصفات، وكلما كثرت أسماء الذات وتعددت صفاتها دل ذلك على كمال الذات وعلو شأنها، فتبين ان تعدد الأسماء لتلك الذات لا محذور فيه أصلا، لأن التعدد ليس تعدد ذوات، ولكنه في أصناف الكمال وأنواعه، ويدل على ذلك أن الله تعالى قد وصف نفسه بالأحدية، وعدد أسماءه وصفاته، والله لا يجمع بين المحال والقول بتعدد الموصوف تبعاً لتعدد صفاته أمر يعلم من الفطرة فساده، إذ الفطرة قاضية بأن التكاثر في الصفات الكمالية والأسماء الدالة عليها دليل على كمال الموصوف[٣].

---

(١) بيان صلة هذا المبحث بأولية الله تعالى: وذلك أن من علل من ينكر أسماء الله وصفاته الاحتجاج بأن إثبات تعدد الأسماء وتعدد الصفات لله تعالى يعني إنكار أن يكون الله وحده أولاً، لأنه يعني بحسب ظنهم أن تلك الأسماء والصفات المتعدده ذوات قائمة بنفسها تشارك الله في الأولية فلا يكون الله وحده مختصاً بالأولية، وقد بينت بطلان قولهم وأن أسماء الله وصفاته ليست ذوات منفصلة عن الله تعالى بل هي دالة على مسمى واحد وذات واحدة فالتعدد ليس تعدد ذوات، ولكنه في أصناف الكمال وأنواعه.

(٢) انظر: التدمرية ص: ١٠٢، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٥٦٩)، بدائع الفوائد (١/ ١٧٠) والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص: ٨.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص: ١٩٩.

المطلب الثاني: أزلية أسماء الله الحسنى:

١- معنى أزلية الأسماء:

أزلية الأسماء تعني أن الله تعالى هو الذي سمى نفسه بها، ولم يتدعها له البشر، ولم تكن مخلوقة له، قال ابن عباس: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء:٩٦] سمى نفسه ذلك، وذلك قوله، أي لم يزل كذلك))[١]، وفي رواية أخرى قال ابن عباس: ((أما قوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب:٢٧] فإنه لم يزل ولا يزال ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾))[٢].

وقال أبو سعيد الدارمي: ((وليس لأزلية الله حد ولا وقت، لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال))[٣]، وقال ابن أبي زيد القيرواني: ((وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة))[٤].

وقال ابن القيم: ((ولا ريب أن الله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال المشتقة أسماؤه منها، فلم يزل بأسمائه وصفاته، وهو إله واحد، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأسماؤه وصفاته داخلة في مسمى اسمه))[٥].

٢- أزلية الأسماء لله لا تتوقف على وجود الخلق:

قال أبو القاسم الأصبهاني: ((وكان أبداً عالماً سميعاً بصيراً قال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء:٣٠] فهذا يدل على أنه سبحانه بصير بخلقه قبل أن يخلقهم، بصير بأعمالهم قبل أن يخلقهم، فمن قال: بصره في خلقه محدث فقد كفر. فمذهب أهل السنة إثبات صفات الله الأزلية))[٦].

---

(١) أخرج الأثر البخاري في الصحيح (١٢٧/٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات ح: ٨٠٩، (٢٤٨/٢) وقال محققه عبد الله الحاشدي: إسناده جيد، والطبراني في المعجم الكبير ح: ١٠٥٩٤ (٢٤٥/١٠) بلفظ: ((فإن الله عز وجل سمى نفسه ذلك، ولم ينحله غيره، وكان الله أي لم يزل كذلك)).

(٢) أخرجه ابن منده في التوحيد (١٠٩/١)، والحاكم في المستدرك، (٤٢٨/٢) وصححه الذهبي في تلخيصه.

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (١٦٣/١).

(٤) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني ص: ٥٧.

(٥) بدائع الفوائد (٢٢/١)، وانظر كلام الإمام أحمد وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٥٣/٤).

(٦) الحجة في بيان المحجة (٤٢٦/٢).

وخالفت في ذلك الجهمية[1] فأنكروا أن يكون لله تعالى أسماء ثابتة له أزلية لا أول لها، وذهبت إلى أن أسماء الله مخلوقة محدثة، سماه بها البشر، وسبب شبهتهم اعتقادهم بأن الأسماء ذوات مستقلة عن مسماها، فيستلزم إثباتها لله تعالى تعدد الذوات والقدماء، فأرادوا التنزيه بجعل تلك الأسماء مخلوقة حادثة بعد أن لم تكن موجودة، وجعلوها أعلاما محضة جامدة، كل ذلك فرارا من تعدد القدماء.

وقولهم باطل فإن الله تعالى أثبت له الأسماء الحسنى مع أنه واحد فرد صمد ولم يدل ذلك على امتناعه، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء:١١٠] فأثبت الله له جميع الأسماء الحسنى، وقوله: ﴿ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ يقتضي وحدانية المدعو نفسه، وهو الله تعالى، وقوله:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾يتضمن كون ذلك المدعو ربا يسمى بهذا وبذاك.

وقد بين السلف بطلان قول الجهمية: فقال نعيم بن حماد(ت ٢٢٨هـ):((إن الجهمية قالوا: إن أسماء الله مخلوقة، لأن الاسم غير المسمى، وادعوا أن الله كان ولا وجود لهذه الأسماء، ثم خلقها، ثم تسمى بها، قال: فقلنا لهم: إن الله قال:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١]، وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[يونس:٣]. فأخبر أنه المعبود ودل كلامه على اسمه بما دل به على نفسه فمن زعم أن اسم الله مخلوق فقد زعم أن الله أمر نبيه أن يسبح مخلوقاً))[2].

وقال إسحاق بن راهويه(ت ٢٣٨هـ): ((إن جهماً قال: لو قلت: إن لله تسعة وتسعين اسماً لعبدت تسعة وتسعين إلهاً، قال: فقلنا لهم: إن الله أمر عباده أن يدعوه بأسمائه فقال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:١٨٠]، والأسماء جمع أقله ثلاثة ولا فرق في الزيادة على الواحد بين الثلاثة وبين التسعة والتسعين))[3]، وقال البخاري(ت٢٥٦هـ):

---

(١) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم، ومن ضلالاته: أن العبد مجبور على فعله، ولا قدرة له ولا اختيار، ومن ضلالاته: إنكار الصفات، والقول بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة فقط. انظر: الفرق بين الفرق ص: ١٩٤، والتبصير في الدين ص: ١٠٧.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٧٨).

(٣) المرجع السابق (١٣/ ٣٧٨).

((ويلزمهم أن يقولوا إذا أذن المؤذن أن يقول: لا إله إلا الله الذي اسمه الله، وأشهد أن محمداً رسول الذي اسمه الله، لأنهم قالوا: إن اسم الله مخلوق))[1].

وقد دل الدليل على أن الله تعالى هو الذي سمى نفسه بتلك الأسماء: فعن ابن مسعود –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك"[2]، ففي هذا الحديث الدلالة على أن أسماء الله ليست بمخلوقة، بل هو تعالى الذي سمى نفسه بها، وتعرف إلينا بها لندعوه، فدل على أن الأسماء الإلهية ليست من صنع الآدميين، ولا من فعل غيرهم من المخلوقات.

وحقيقة قول الجهمية تنقص لله تعالى وتجعله عاجزاً محتاجاً إلى خلقه، قال أبو سعيد الدارمي: ((فادعى أن أسماء الله غير الله، وأنها مستعارة مخلوقة، كما أن قد يكون شخص بلا اسم... يعني أن الله كان مجهولاً كشخص مجهول، لا يهتدي لاسمه ولا يدرى ما هو، حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم، فأعاروها إياه من غير أن يعرف له اسم قبل الخلق، ومن ادعى هذا التأويل فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق؛ لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أبدا أعلى منه وأغنى، ففي هذه الدعوى استجهال الخالق، إذ كان بزعمه هملاً لا يدرى ما اسمه وما هو وما صفته، والله المتعالي عن هذا الوصف المنزه عنه؛ لأن أسماء الله هي تحقيق صفاته، سواء عليك قلت: عبدت الله أو عبدت الرحمن، أو الرحيم، أو الملك العزيز الحكيم... من شك فيه فقد كفر))[3].

٣ – اشتقاق أسماء الله من صفاته وأفعاله لا يعني أن لها مادة قديمة اشتق منها:

أسماء الله أزلية سمى بها نفسه، ولم يسمه بها الخلق ابتداء، ولم يحتج الله تعالى لوجودهم، ولا للغتهم حتى يشتقوا له منها أسماءه، فالله تسمى بها قبل وجود الخلق وقبل وجود لغتهم، واتفاق أسماء الله لمصادر اللغة في اللفظ والمعنى لا يعني أن الخلق هم الذين اخترعوا هذه الأسماء، وأن هذه المصادر كانت قديمة قدم الأسماء، لأن

(١) خلق أفعال العباد (٢/ ٦٠).
(٢) أخرجه أحمد ح: ٣٧١٢، (٦/ ٢٤٦)، وابن أبي شيبة ح: ٢٩٣١٨، (٦/ ٤٠)، والحاكم ح: ١٨٧٧ (١/ ٦٩٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص: ١١٩.
(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (١/ ١٥٨-١٥٩).

أسماء الله من كلامه[1]، فلا تؤخذ من كلام اللغة، لكن تؤخذ مما يوافقها من كلام الله[2].

وإنما نعني بالاشتقاق أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصلها وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة[3].

وقد أنكر بعض العلماء أن تكون أسماء الله مشتقة بحجة أن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، وأسماء الله قديمة، والقديم لا مادة له، فيستحيل اشتقاقه[4]، وقد رد ابن القيم عليهم بقوله: ((ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله))[5].

وعليه فإن أسماء الله مشتقة من صفاته وأفعاله، فإن الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً... هذا إن كان الفعل متعديا فإن كان لازماً لم يخبر عنه به... بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل[6]، ولا يحق لأحد أن يشتق من الفعل أو من الصفة اسماً فيطلقه على الله، إلا ما ورد الشرع به لأن الأسماء توقيفية، فإذا ثبت الاسم بالنص علمنا أنه مشتق من الصفة والفعل، أو من الصفة فقط كما سبق[7].

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (٦/١٨٥).
(2) انظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات ص: ١٨٠، ٢٣٠، ٤٠٣، وأسماء الله الحسنى ص: ١٤٣.
(3) بدائع الفوائد (١/ ٢٢).
(4) أنكر ابن حزم اشتقاق أسماء الله في كتابه الفصل (٢/١٢٩)، ونقل البغوي عن الخليل إنكار اشتقاق لفظ الجلالة (الله) خاصة في تفسيره (١/٣٨).
(5) بدائع الفوائد (١/ ٢٢).
(6) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٢) باختصار.
(7) انظر: في ذكر اشتقاق أسماء الله: فتح الباري (١١/٢٢٦).

٤ – أسماء الله تعالى ليست عين ذات الله وليست غيره بل هي له:

اختلف الناس في الاسم، هل هو عين المسمى، أو غيره؟ على أقوال: القول الأول: أن الاسم هو المسمى[١]، والقول الثاني: أن الاسم غير المسمى، وهو قول الجهمية والمعتزلة، وقالوا: إن أسماء الله حروف حادثة مخلوقة تدل على الذات المقدسة وهي غيرها لحدوثها، وما كان غيره فهو مخلوق، فأسماء الله مخلوقة عندهم.

والقول الثالث: أن الاسم للمسمى، وهو دليل وعلم عليه، ولا يطلق القول في الاسم هل هو عين المسمى أو غيره؟ وإنما يستفصل، وهذا القول هو قول اكثر أهل السنة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الأعراف:١٨٠]، وقوله:﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الإسراء:١١٠]، وبقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إن لله تسعة وتسعين اسما"، فهذه النصوص تدل على أن الاسم للمسمى، ويدل عليه.

وقد اشتد نكير السلف على من قال: إن الاسم غير المسمى، فكانت بذلك أسماؤه مخلوقة:

قال أبو داود السجستاني(ت ٢٧٥هـ): ((سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلاً قال: إن أسماء الله مخلوقة، والقرآن مخلوق، قال أحمد: كفر بين))[٢]، و قال الإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ): ((إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة))[٣]، وقال ابن تيمية: ((فصل: في الاسم والمسمى، هل هو هو أوغيره؟ أو لا يقال هو هو ولا يقال هو غيره؟ أو هو له؟ أو يفصل في ذلك؟ فإن الناس قد تنازعوا في ذلك، والنزاع اشتهر في ذلك بعد الأئمة بعد أحمد وغيره، والذي كان معروفاً عند أئمة السنة أحمد وغيره: الإنكار على الجهمية الذين يقولون: أسماء الله مخلوقة.

فيقولون: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق، وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف، وغلظوا فيهم القول؛ لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق؛ بل هو المتكلم به، وهو المسمي لنفسه بما فيه من الأسماء والجهمية

---

(١) وهو قول لبعض المنتسبين إلى السنة كالبغوي في شرح السنة له(٣٠/٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٠٤/٢)، والقرطبي في تفسيره (١٠١/١)

(٢) ملحق في الجهمية لأبي داود السجستاني ضمن عقائد السلف ص:١٠٤.

(٣) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (٤٠٥/١).

يقولون: كلامه مخلوق، وأسماؤه مخلوقة؛ وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته ولا سمى نفسه باسم هو المتكلم به، بل قد يقولون: إنه تكلم به وسمى نفسه بهذه الأسماء، بمعنى أنه خلقها في غيره، لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به، فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه))(١).

المطلب الثالث: أزلية صفات الله العلى(٢):

١- معتقد السلف في أزلية الصفات:

قال الطحاوي(ت٣٢٢ه): ((ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً))(٣) قال ابن أبي العز: ((أي: أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده))(٤).

وهو يعني أن الله سبحانه أول ليس قبله شيء، متصف بصفات الكمال قبل خلقه فأسماؤه وصفاته أزلية أبدية، وكما أنه في ذاته أول بلا ابتداء فكذلك أسماؤه وصفاته تابعة لذاته، فهي أولية بأولية الله، فلم يكن أولاً بلا أسماء ولا صفات ثم سماه الناس وحدثت له الصفات؛ لأن قولهم هذا يلزم منه أن يكون ناقصاً في فترة ثم اكتسب كمالاً لم يكن من قبل.

٢- الصفات داخلة في مسمى الاسم:

الصفات داخلة في مسمى الاسم، إذ الاسم له دلالتان: دلالة على الذات بالعلمية، وعلى الصفة بالوصفية، قال ابن القيم: ((أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٥-١٨٦).
(٢) ((ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاثة أوجه: الأول: التصريح بالصفة، كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين، ونحوها. الثاني: تضمن الاسم لها، مثل: الغفور متضمن للمغفرة... الثالث: التصريح بفعل أو وصف دال عليها، كالاستواء على العرش)) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص: ٢٨-٢٩.
(٣) شرح الطحاوية ص: ١٢٤.
(٤) المرجع السابق ص: ١٢٤.

على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية. فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم))(١).

ومما يدل على ذلك أن أسماء الله تعالى مشتقة من صفاته، فإن الوصفية من لوازم اسمه المشتق، فهي تحمل دلالتها على الذات بالعلمية، وعلى الصفة بالأصل، كما أن (ضارب) يدل على ذات الضارب وعلى صفة الضرب، فكذلك الأسماء: سميع يدل على صفة السمع، وبصير يدل على صفة البصر.

ولو لم تكن أسماء الله الأزلية دالة على صفاته الأزلية لكانت جامدة، ولم تكن حسنى، وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأثنى بها على نفسه وتمدح بها، والجامد لا مدح فيه، فلا بد أن تكون دالة على الوصفية، فالتلازم بين أسماء الله وصفاته وثيق، وما ثبت من أزلية للأسماء هو أزلية للصفات التي تضمنتها لأن كل اسم لله له معنى، وذلك المعنى صفة للمسمى، قال ابن القيم: ((الأسماء دالة الصفات، والرحمن اسم وصفة))(٢).

وقد أكد علماء السلف هذا التلازم بين الأسماء والصفات في كثير من نصوصهم:

قال أبو سعيد الدارمي: ((إن أسماء الله هي تحقيق صفاته))(٣)، وقال ابن أبي زيد القيرواني: ((وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسماؤه محدثة))(٤)، وقال ابن تيمية: ((فإن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات))(٥)، وقال أيضاً: ((فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة: فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله))(٦).

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

(٢) المرجع السابق (١/٢٣).

(٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (١/ ١٥٩).

(٤) مقدمة ابن أبي زيد القيرواني ص: ٥٧.

(٥) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦) وانظر أيضاً: (١٣/ ٢٩٦)، والعقيدة الأصفهانية (ص: ٢٥).

وقد خالفت فرقة الجهمية[1] أهل السنة في هذا المعتقد، فأنكروا الصفات كما أنكروا الأسماء، أما المعتزلة[2] فذهبت إلى إثبات الأسماء الحسنى وإنكار مدلولها التي هي الصفات، فلم يجعلوا للاسم مفهوماً، وسبب هذه الشبهة اعتقادهم أن إثبات الصفات يستلزم تعدد الذوات والقدماء، لاعتقادهم أنها مفعولات منفصلة عن ذات الله فيجب تعطيلها لئلا تشارك الله في القدم، فقالوا: إن الله عليم بعلم هو ذاته، وسميع بسمع هو ذاته، وبصير ببصر هو ذاته، أو هو عليم بلا علم، وسميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وهكذا جردوا سائر الأسماء عن الصفات؛ فأساس مذهبهم نفي الصفات، وقد سبق بيان التلازم بين الأسماء والصفات، فما يقال في الأسماء يقال في الذات.

٣ – أقسام صفات الله تعالى من الأولية:

تنقسم صفات الله تعالى إلى قسمين[3]: القسم الأول: صفات ذاتية، وهي الصفات التي يتصف الله عز وجل بها أزلاً وأبداً: أزلاً: في القدم، وأبداً: في المستقبل فهو لا ينفك عنها سبحانه وتعالى بحال من الأحوال، مثاله: صفة الحياة والقدرة والعلم، فإنه جل وعلا متصف بها أزلاً وأبداً، والقسم الثاني: الصفات الفعلية[4]، وهي التي تتعلق بمشيئة الله تعالى، أي: الصفات التي يتصف بها متى شاء، كرضاه، وغضبه، ونزوله إلى السماء الدنيا واستوائه على العرش، وما أشبهها من الصفات، فهذه الصفات أزلية النوع، متجددة الآحاد، قال ابن تيمية: ((الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته يمتنع أن يكون كل منها أزلياً وأيضاً: فلا يلزم أن يكون وجود هذه في الأزل صفة كمال؛ بل الكمال أن توجد حيث اقتضت الحكمة وجودها، وأيضا: فلو كانت أزلية لم تكن موجودة شيئاً بعد شيء))[5].

---

(١) انظر: التسعينية لابن تيمية (١/٢٦٥) ومجموع الفتاوى (٦/٣٥، ٣١٣) والأسماء الحسنى معانيها وآثارها، ص: ٤١٢، والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص: ٢٩

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/٢٤٤) والملل والنحل للشهرستاني (١/٣٨، ٤٠)، والتسعينية (١/٢٧٠) ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٩) والقواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص: ٣٣.

(٣) انظر: القواعد المثلى ص: ٢٥، والصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد أمان ص: ٢٠٣.

(٤) سيأتي مزيد بحث لصفات الأفعال في المطلب التالي لأهمية هذه المسألة وكثرة خلاف النلس فيها.

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٨٦).

٤ - الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات:

لا فرق بين ذات الرب وصفاته، فما جاز على ذات الرب من الأحكام العقلية جاز على أسمائه وصفاته، فإن الذات والصفات من باب واحد[١] لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، ويحتذي حذوه[٢]، وعلى ذلك فما قيل من أزلية وأولية لذات الله تعالى يقال أيضاً في أزلية وأولية الصفات، قال ابن تيمية: ((فالقول في صفاته كالقول في ذاته والله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله))[٣].

٥ - إنكار السلف على من قال بأن صفات الله مخلوقة محدثة ليست بأزلية:

قال ابن خزيمة(ت٣١١هـ): ((من يقول: إن شيئاً من صفات الله صفات الذات، أو اسماً من أسماء الله مخلوق، فهو عندي جهمي يستتاب؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على بعض المزابل؛ هذا مذهبي ومذهب من رأيت من أهل الأثر في الشرق والغرب من أهل العلم، ومن حكى عني خلاف هذا فهو كاذب باهت))[٤]، وقال ابن بطة(ت٣٨٧هـ): ((إن القرآن كلام الله ومنه، وفيه صفاته وأسماؤه، وأنه علم من علمه، وأنه ليس بجائز أن يكون شيء من الله ولا من صفاته ولا من أسمائه ولا من علمه ولا من قدرته ولا من عظمته ولا من عزته مخلوقة))[٥]، وبين ابن بطة أن مقصود المخالفين من القول بخلق الصفات هو إبطال وجود الله تعالى فقال: ((وإنما أراد الجهمي بقوله إن صفات الله مخلوقة أن يقول: إن الله كان ولا قدرة، ولا علم، ولا عزة، ولا كلام، ولا اسم حتى خلق ذلك كله، فكان بعد ما خلقه، فإذا أبطل صفاته فقد أبطله، وإذا أبطله في حال من الأحوال فقد أبطله في الأحوال كلها))[٦]..

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص: ٣٨.

(٢) من كلام الخطيب البغدادي نقله ابن قدامة في ذم التأويل ص: ١٥.

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٣٠) وانظر أيضاً: (٥/ ١١٤) والفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٤٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ١٧٠).

(٥) الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/ ١٥٦).

(٦) المرجع السابق (٦/ ١٧٦).

المطلب الرابع: أزلية أفعال الله تعالى:

بحثت تحت هذه المسألة الكبيرة عدة مسائل:

١: بيان معتقد السلف في صفات الأفعال:

قرر علماء السلف أن صفات الأفعال ثابتة لله تعالى، وجعلوا لكل صفة منها نوعاً وآحاداً، فنوعها أزلي ليس له أول ولا بداية، وآحادها حادثة متجددة تتعلق بمشيئته متى شاء فعلها، وهي تابعة لنوعها، فليست بمخلوقة، لأنها صفة لله تعالى، فذات الله غير مخلوقة، وكذلك صفاته.

وقرروا أنه إذا كانت صفات الأفعال أزلية له فمعنى ذلك أنه لم يزل فعالاً لما يريد فجوزوا التسلسل في الآثار، وهو أن لا يكون الشيء حتى يكون قبله غيره أو لا يكون إلا ويكون بعد غيره، وردوا على من يقول: كان الله ولا شيء معه، أي: لا مخلوق ولا فعل ولا مفعول، ثم صار يخلق ويفعل بعد أن لم يكن يفعل ويخلق، ولا يعني القول بحوادث لا أول لها القول بقدم العالم؛ ففرق بين التسلسل في الآثار وبين التسلسل في الفاعلين:

قال الإمام أحمد (ت٢٤١هـ): ((إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء، ولا نقول: إنه كان ولا يتكلم حتى خلق الكلام، ولا نقول: إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلم، ولا نقول: إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة، ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نور له حتى خلق لنفسه نوراً... ونقول: لم يزل بقدرته ونوره... فإذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفته؟))[1].

وقال أبو سعيد الدارمي: ((والله تبارك وتعالى اسمه كأسمائه سواء، لم يزل كذلك ولا يزال، لم تحدث له صفته، ولا اسم لم يكن كذلك قبل الخلق، كان خالقاً قبل المخلوقين، ورازقاً قبل المرزوقين، وعالماً قبل المعلومين، وسميعاً قبل أن يسمع أصوات المخلوقين، وبصيراً قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة))[2].

فبين العلماء أنه تعالى لم يزل متكلماً، قادراً، فعالاً لما يريد، فلم يكن قبل وجود الخلق معطلاً عن الفعل، فأفعاله ثابتة له منذ الأزل، لا أول ولا حد لوجودها، ولا بد لأفعاله

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص: ١٣٨-١٤١.

(٢) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (١/ ١٦٢).

أن تظهر آثارها، فجنس ما تظهر فيه آثار أفعاله قديم لا أول لها، وكل مفعول معين له مبدأ حادث بعد أن لم يكن، ففرق بين جنس الحوادث وأعيان الحوادث، فجنس الحوادث قديم لا أول له، والله تعالى قبله، لأن الله تعالى لم يزل فعالاً منذ الأزل، ولا بد لأفعاله أن تظهر آثارها، وأما أعيان الحوادث فهي حادثة، لها أول ومبدأ، وكل مفعول معين قبله مفعول معين إلى ما لا نهاية، أما باعتبار كون الفعل صفة من صفات الله تعالى وإن لم يكن له متعلق موجود فهو لا أول له.

ومن المعلوم أن صفة الخلق صفة كمال كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل:١٧]، فلا يجوز أن ينفك عن هذه الصفة، وجائز أن يكون لصفة الخلق أثر، وهو وجود المخلوق، ولكن كل مخلوق محدث، مسبوق بالعدم، وليس مع الله شيء قديم، ولا شك أن هذا أبلغ في الكمال، من أن يكون معطلاً غير قادر على الفعل.

و أما جعل المفعول المعين مقارناً له تعالى أزلاً وأبداً، فهو باطل عقلاً وشرعاً ولا يقوله إلا جاهل أو معطل، والأدلة على بدء خلق الأفلاك، وخلق الزمان كثيرة أخبرت بها الرسل، وما يقوله المتكلمون من أن هذا الكون المشاهد لنا، وما يتصل به من السموات والأرض، وكذلك العرش والماء، هو مبدأ فعله وخلقه، وليس قبله شيء من مفعولاته يخالف كماله الواجب له تعالى، فإن وصفه تعالى بأنه لم يكن قادراً على الفعل والكلام ونحوهما من صفات الكمال، ثم صار قادراً على ذلك، فيه نقص يجب أن ينزه عنه وقدرته التامة الكاملة التي هي من لوازم ذاته تعالى تفيد خلاف هذا القول، وهي من أظهر صفات الكمال، ولا يجوز أن تقيد صفاته تعالى وأفعاله بوقت دون وقت[1].

قال ابن تيمية: ((إن الرب لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، كما وصفه أئمة السنة من أنه لم يزل متكلما إذا شاء، لم يزل حياً فاعلاً أفعالاً تقوم به، لم يزل قادراً، وكل ما سواه مخلوق له حادث عنه، وأن حدوث الأشياء عنه شيئاً بعد شيء، فليس فيها شيء كان معه ولا قارنه بوجه من الوجوه))[2].

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله الغنيمان (١/٣٨٤-٣٨٦).
(٢) الصفدية (١/٨١-٨٢).

٢: بيان معتقد المنكرين لصفات الأفعال وحجتهم:

أنكر المتكلمون اتصاف الله تعالى بصفات الأفعال التي تتعلق بمشيئته فقالوا: إن الله تعالى لا يتكلم متى شاء، ولا يستوي متى شاء، وغيرها من صفات الأفعال بحجة نفي حلول الحوادث بذات الله تعالى، وصفات الأفعال من الحوادث، فيجب تعطيلها، لأن ما قامت به الحوادث فهو حادث.

ثم قالوا بامتناع حوادث لا أول لها بناء على أن التسلسل ممتنع، وبناء على ذلك قالوا: إن الله تعالى لم يكن قادراً على الفعل في الأزل ثم صار قادراً، أو بمعنى آخر قالوا: إن الفعل كان ممتنعاً عليه تعالى ثم صار ممكناً، والذى ألجأهم إلى هذا أن يسلم لهم بنظرهم القول بحدوث العالم، لأنه لو قيل بجواز أن يكون قادراً على الخلق قبل ذلك لأدى ذلك إلى صحة القول بقدم العالم، لأنه ما من زمن يفترض فيه خلق العالم إلا وجائز أن يقع قبله، لأن الله أزلي، وهذا ممتنع.

٣: بيان مذاهب الناس في التسلسل في الآثار:

التسلسل عند أهل السنة والجماعة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تسلسل ممتنع، وتسلسل واجب، وتسلسل ممكن[١]: فأما التسلسل الممتنع فهو: مثل التسلسل في المؤثرين والفاعلين والعلل، وهو أن يكون مؤثرون كثر، كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لا إلى غاية، فيكون للفاعل فاعل، وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له، وهذا باطل بصريح العقل واتفاق العقلاء[٢].

وأما التسلسل الواجب فهو: ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الله في الأبد وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفاد له، وكذلك عذاب أهل النار، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من جهة الأولية والأزل، وأن كل فعل له سبحانه فهو مسبوق بفعل آخر قبله.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٠٧/١).
(٢) انظر: درء التعارض (٣٢١/١).

وأما التسلسل الممكن فهو: التسلسل في المفعولات، والحوادث والآثار المتعاقبة بأن يكون الحادث الثاني موقوفاً على حادث قبله، وذلك الحادث موقوفاً على حادث قبل ذلك وهلم جرا[1] وقد وقع فيه خلاف، والناس فيه على ثلاثة أقوال:

أ- منعه في الماضي والمستقبل، وهذا قول جهم (ت ١٢٨هـ) والعلاف (ت ٢٣٥هـ)، وحجتهم أنه اذا كان ممتنعاً في الماضي فيجب أن يكون ممتنعاً في المستقبل، فقال الجهم بفناء الجنة والنار، وقال العلاف بفناء حركات أهلهما.

ب- منعه في الماضي وتجويزه في المستقبل، وهذا قول أكثر أهل الكلام الذين يقولون بدوام نعيم الجنة، وقد اعتقدوا أن القول بجوازه يفضي إلى القول بقدم العالم، وقد اعتُرض عليهم في قولهم بجواز دوام الحوادث في المستقبل دون الماضي بأنه لا دليل لهم على التفريق بينهما[2].

ج- جوازه فيهما، فإن الله إذا لم يزل حيّاً قادراً مريداً متكلماً -وذلك من لوازم ذاته- فالفعل ممكن له بوجوب هذه الصفات له، وهو قول أهل السنة والحديث[3]، وأساطين الفلاسفة[4]، لكن المسلمين وسائر أهل الملل وجمهور العقلاء من جميع الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وبينما قالت الفلاسفة بقدم العالم، ولم يفرقوا بين الآحاد والنوع[5].

٤: مناقشة أهم الأدلة التي استدل بها من قال: إن للحوادث مبتدأ، وإن الله تعالى كان معطلاً عن الخلق ثم خلق:

- بيان معنى حديث: "كان الله ولم يكن شيء قبله"[6].

---

(1) انظر: المرجع السابق (٣٢١/١).

(2) انظر: درء التعارض (٣٥٨/٢-٣٩٥، ١٨٦/٩).

(3) انظر: منهاج السنة (٩٩/١، ١٢٢، ٢٢١-٢٢٢، ٤٣٧/١، ٣٠٧/٢، ٣٩٣)، والصفدية (١٠/١-١١، ٢٢-٢٧)، ودرء التعارض (٣٢١/١، ٣٦٣، ٢٩٢/٤، ١٨٠/٩-١٨٥، ٢٣٨-٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٤٥/١٢).

(4) الفلاسفة: هم من ينتسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية، مركبة من كلمتين (فيلا) أي محب، و(سوفيا) أي الحكمة، فمعناها محب الحكمة، ومن آراء معظمهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني. انظر: الملل والنحل (٣٦٣/٢)، وإغاثة اللهفان (٢٥٦/٢).

(5) انظر: درء التعارض (١٤٧/٩-١٤٨)، (١٤٩/٩) وما بعدها، ومجموعة الرسائل (٣٥٧/٥-٣٦١)، وشفاء العليل لابن القيم ص: ١٥٦، وشرح الطحاوية (١٠٣/١-١٠٨).

(6) سبق تخريجه

معناه أنه تعالى هو الأول قبل كل شيء، الذي لا يتصور لأوليته مبدأ، حتى يمكن أن يتصور قبله شيء، بل هو الأول بلا بداية، وأهل اليمن سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أحوال هذا العالم المشهود لقولهم ((عن أول هذا الأمر))؛ لأن الإشارة إلى المخلوقات المشاهدة، ولم يسألوا عن أول جنس المخلوقات، وكان جواب النبي -صلى الله عليه وسلم- لأهل اليمن عن بدء خلق السموات والأرض وما بينهما، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام، لا ابتداء ما خلقه الله قبل ذلك، ويدل على ذلك: أنه أخبر عن تلك الأشياء بما يدل على وجودها، ولم يتعرض لابتداء خلقها، وذكر السموات والأرض بما يدل على خلقها، وكل مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، فتبين أنه لم يكن مقصوده الإخبار عن أول جنس المخلوقات، بل ولا الإخبار عن خلق العرش والماء وإنما مقصوده الإخبار عن بدء خلق السموات والأرض وما بينهما، حين كان عرشه على الماء[1].

- بيان معنى حديث: "أول ما خلق الله القلم"[2].

استدل بحديث "أول ما خلق الله القلم" من قال إن للحوادث مبتدأ، وإن الله تعالى كان معطلاً عن الخلق ثم خلق، وقد بين شيخ الإسلام وجه الحق في ذلك وأن المقصود بالحديث هو الحديث عن أن أول هذا العالم المشهود، الذي خلقه الله في ستة أيام ثم استوى على العرش، فأوله القلم، ولم يتكلم الحديث عن العوالم السابقة ومنها العرش والماء وغيرهما، فهي قبل القلم[3]. ومما ذكره شيخ الإسلام:

أولاً: الخلاف في أيهما خلق أولا؟

اختلف العلماء في العرش والقلم: أيهما خلق أولاً على قولين: فقيل: خلق القلم أولاً، واستدلوا بحديث "أول ما خلق الله القلم"، وقيل: خلق العرش أولاً، وفسروا حديث "أول ما خلق الله القلم" بأن مراده: أول هذا العالم.

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (18/216-222) بتصرف.

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح: 22705، (37/378)، وأبو داود ح: 4702، (4/362)، والترمذي ح: 2155، (4/457)، من حديث عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح: 2017، (1/405).

(3) ولابن أبي العز كلام جيد في ذلك فقال رحمه الله: ((ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم»، إلخ - إما أن يكون جملة أو جملتين. فإن كان جملة، وهو الصحيح، كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: اكتب، [كما في اللفظ: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب]» بنصب أول والقلم، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع أول والقلم، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم)) انظر: شرح الطحاوية ص: 265.

ثانياً: رجحان قول من قال: خلق العرش أولاً، وذكر أدلتهم:

احتج من قال: إن العرش خلق أولاً بعدة أدلة منها:

١- حديث "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء"[١] فقد بين هذا الحديث أن كتابة المقادير كانت قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وأن عرشه كان على الماء، فهو سابق للتقدير والكتابة.

٢- ما جاء موقوفاً عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ((إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً، فكان أول ما خلق الله القلم فأمره، وكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه))[٢]، فقول ابن عباس يفسر المقصود بأولية القلم، وأنها ليست أولية مطلقة، وإنما خلق قبله العرش.

٣- ولما ورد في بعض روايات حديث عمران بن حصين: "كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء"[٣]، فعطف الخلق والكتابة على العرش بثم.

٤- ولما ورد في بعض ألفاظه: "لما خلق الله القلم قال له اكتب"[٤]، وهذا يبين أنه أمره حينئذ أن يكتب مقدار هذا الخلق إلى قيام الساعة، لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك وهذا يؤيد حجة من جعله أول المخلوقات من هذا الخلق الذي أمره بكتابته.

فهذه الأدلة وغيرها تبين أن حديث القلم ليس فيه دلالة لهؤلاء، وأن القلم ليس أول المخلوقات، بل هناك مخلوقات قبله كالعرش والماء[٥].

* * *

---

(١) أخرجه مسلم ح: ٢٦٥٣.

(٢) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٢١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٣٩).

(٣) أخرجه البخاري ح: ٣١٩١.

(٤) أخرجه الطبراني (١٢/ ٦٨، رقم ١٢٥٠٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٩): رجاله ثقات.

(٥) انظر حول ما سبق: بغية المرتاد (ص: ٢٧٥-٢٩٤)، ومنهاج السنة (١/ ٣٦١)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٠١٠-١٠١١).

المبحث الثاني: دلالة اسم (الأول) على أن الله فرد واحد لا شريك له:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: تفرد الله بالأولية.

١- بيان مذهب السلف الصالح في تفرد الله بالأولية:

اسم (الأول) يتضمن صفة الأولية، ومعناها السبق والتقدم على كل الموجودات، فهو منفرد بوجوده قبل كل موجود، وهذه الأولية خاصة بالله تعالى، لايشركه فيها أحد غيره، قال ابن حزم: ((أول فهذا هو الاسم الذي لا يشاركه تعالى فيه غيره، وهومعنى أنه لم يزل))[١]، ويدل على هذا الاختصاص قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ [الحديد:٣] فالجملة هنا جاءت معرفة الطرفين، فهي تفيد اختصاصه سبحانه بهذا الاسم ومعناه على ما يليق بجلاله وعظمته فلا يثبت لغيره من ذلك شيء[٢].

قال ابن عاشور: ((ويستلزم ذلك انفراده تعالى بصفة الوجود، لأنه لو كان غيرُ الله واجباً وجودُه لما كان الله موصوفاً بالأولية، فالموجودات غير الله ممكنة، والممكن لا يتصف بالأولية المطلقة، فلذلك تثبت له الوحدانية))[٣].

٢- الفرق بين أولية الله وأولية خلقه:

سمى الله نفسه بالأول، وسمى بعض عباده بالأول، ولكل منهما أولية تخصه فأولية الله كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وهي عامة لكل ما سواه، بخلاف أولية غيره فهي أولية ناقصة، تعني تقدمهم على بعض أفراد جنسهم لأمر من الأمور، واسم (الأول) يطلق على الله إطلاقاً عاماً: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف:١٨٠] وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن لله تسعة و تسعين اسما"[٤]، وتقديم اللام في الآية والحديث يفيد شيئين وهما: أن الكمال الذي يستحقه الله تعالى من الأسماء الحسنى لا يشركه فيه غيره، وأن تواطؤ بعض الأسماء بين الخالق والمخلوق لا يستلزم تماثل

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ١١٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس ص:٧٥. بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٦١).

(٤) سبق تخريجه.

الحقائق، فإن لازم أسماء الله كمال، كما أن لازم أسماء المخلوقين نقص فلايجوز أن نجعل لوازم الأسماء فيهما واحد.

ومثال ذلك: أن الله تعالى من أسمائه (الأول)، والإنسان أيضا يسمى أولاً ويوصف به فلفظ (الأول) متشابه بينهما، ومعناه العام متواطئ بينهما، وهو: السبق والتقدم، ولكننا لا نتصور هذا إلا في أذهاننا، أما في خارجها فإنا نعلم أن أولية الإنسان على غيره من المخلوقات إضافية غير كاملة، لأن سبقه مقيد ببعض الخلق في أمر من الأمور، وهو مسبوق بالعدم، فسبقه ناقص، أما الله تعالى فسبقه عام لكل أحد، ولم يسبقه عدم[1].

قال القرطبي -عن اسم الأول والآخر-: ((واتفقت الأمة على أنه لا يجوز وصف المخلوق بهذين الاسمين معرفاً على الإطلاق، ويجوز مقيداً أو مضافاً أو منكراً بلا خلاف))[2]. وقال الراغب الأصبهاني: ((وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام:١٦٣] ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[الأعراف:١٤٣] فمعناه أنا المقتدى بي في الإسلام والإيمان وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾[البقرة:٤١] أي لا تكونوا ممن يقتدى بكم في الكفر))[3]. وقال محمد الأمين الشنقيطي: ((أما الأولية والآخرية التي نص الله عليهما في قوله ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ فقد وصف المخلوقين أيضا بالأولية والآخرية قال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[المرسلات:١٦-١٧]. ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من ذلك لائق بجلاله وكماله كما أن للمخلوقين أولية وآخرية مناسبة لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم))[4].

ويمكن بيان الفروق بين أولية الله وأولية خلقه من وجوه:

١- ليس لكونه أولاً ابتداء، وهذا بخلاف أولية المخلوقات، فإن كل أول منها له ابتداء[5].

٢- أن الله لم يسبقه عدم، وأما المخلوقات فلها بداية سبقها عدم.

---

(١) انظر: الأسماء الحسنى معانيها وآثارها ص:١١٥-١٢٤.
(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص:١٥٢.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص: ٣٢.
(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص:١٨-١٩.
(٥) انظر: الفواكه الدواني لأحمد بن غانم النفراوي (١٩٦/١).

٣ – اسم (الأول) ثابت لله تعالى على جهة الإطلاق، مرادا به العلمية والاعلى كمال الوصفية، أما المخلوقات فلا تثبت لها على جهة الإطلاق، بل أوليتها مقيدة.

٤ – أن اسم (الأول) لله تعالى تشتق منه صفة الأولية، فلا يجوز أن يحدث له اسم بحدوث فعله، بخلاف اسم (الأول) للمخلوق فهو حادث له، لأنه مشتق من فعله[١].

٣ – بيان مذاهب المخالفين في تفرد الله بالأولية:

لم يخالف في اختصاص الله تعالى باسم (الأول) على جهة الإطلاق إلا قلة من الناس فأطلق البعض اسم (الأول) على النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى عيسى عليه السلام وعلى علي –رضي الله عنه– وفيما يأتي بيان أقوالهم:

فقد ادعت النصرانية كذباً وزوراً أن عيسى عليه السلام هو (الأول)، فقالوا: ((وقال يسوع: أنا هو الأول والآخر، ولي مفاتيح الهاوية والموت))[٢]، ويكذب هذا الغلو الكفري ماجاء في نصوص العهد القديم التي تؤمن بها النصرانية، وهو في سفر أشعيا: ((هكذا يقول الرب- أنا الأول والآخر ولا إله غيري))[٣].

ووصفت الصوفية[٤] النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنه هو الأول الآخر: فقال أحدهم يمدحه:

هو الأول والآ خر محـ مد   هو الـ ظاهر والـ باطن محـ مد[٥]

واستدلوا بحديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لما خلق الله ﷻ آدم خُيِّرَ لآدم بنيه، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض، قال: فرآني نورا ساطعا في أسفلهم، فقال: يا رب من هذا؟ قال: هذا ابنك أحمد –صلى الله

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/١٧٩–١٨٠).

(٢) رؤيا يوحنا، الإصحاح الأول من عدد ١٧ إلى ١٨، انظر: العقائد النصرانية للتيمي ص: ٥٤.

(٣) سفر أشعيا (٦/٤٤).

(٤) الصوفية هم الذين يدينون بالتصوف، وبدأ زهداً في الدنيا وانقطاعاً للعبادة، ثم صار مظاهر خالية من الروح والعبادة، ثم صار إلحاداً وخروجاً عن دين الله، فقالوا: بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وإباحة المحرمات وترك الواجبات وعلم الباطن، كما هو عند ابن عربي وابن الفارض والحلاج وغيرهم، وقد اختلف في أصل التسمية على أقوال أصحها أنها نسبة إلى الصوف الذي يلبسونه. انظر: اعتقادات فرق المسلمين (٩٧-١٠١)، ومجموع الفتاوى (١٠/١٨-١١، ٢٠/٦، ٧).

(٥) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي لعبد الرزاق البدر ص: ٣٧٠.

عليه وسلم – هو الأول والآخر، وهو أول شافع"[1]، والحديث ضعيف، وعلى فرض ثبوته فإن معناه أولية وآخرية مقيدة بمعنى معين للنبي –صلى الله عليه وسلم – يستدل له بما أخرجه البيهقي قبله مباشرة عن ابن عباس –رضي الله عنه – عن النبي –صلى الله عليه وسلم – قال: "فنحن الآخرون الأولون، نحن آخر الأمم وأول من يحاسب"[2].

وكذلك أطلق بعض الشيعة[3] على علي –رضي الله عنه – اسم (الأول):

فنقلوا عن علي –رضي الله عنه – أنه قال: ((أنا وجه الله، وأنا جنب الله، وأنا الأول وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا وراث الأرض، وأنا سبيل الله، وبه عزمت عليه))[4]، وجاء في بعض روايات كتاب (سليم بن قيس(ت ٨٥هـ) مخاطبة علي –رضي الله عنه– لهذه الألقاب: ((يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم))، ويقول:((إن هذا الوصف صدر من الشمس لعلي، وأنه سمعه أبو بكر وعمر والمهاجرون والأنصار فصعقوا، ثم أفاقوا بعد ساعات))[5]، وعن إسماعيل الخلقاني شقوص(ت ١٦٣هـ) من الشيعة أنه قال: ((هو الأول والآخر: علي بن أبي طالب))[6].

وهذا الغلو من النصارى والصوفية والشيعة كفر بالله تعالى، لأنه فيه إطلاق اسم لله على وجه الإطلاق لا يطلق إلا على الله تعالى، والنبي –صلى الله عليه وسلم – أفضل من

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٨٣/٥)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ح: ٦٤٨٢، (١٣/ ١٠٨٢).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٨٢/٥) وأخرجه ابن ماجه أيضا (١٤٣٤/٢) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح:٢٣٧٤ (٤٨٨/٥).

(٣) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. والشيعة فرق كثيرة، منها الغالي الكافر، ومنهم من دون ذلك، وبحسب درجاتهم تكون مخالفتهم لأصول السنة. وفرقة الإمامية من أشدها غلواً وهي تخالف أهل السنة في جل أصول الدين، فهي تقول بتحريف القرآن وأن الإمام مختص بمعرفته، ولا يقرون بتوحيد الألوهية ولا الربوبية بل يعطون أئمتهم صفات الألوهية والربوبية، ويكفرون جل الصحابة.. وانظر باقي مقولاتهم في: الملل والنحل(١٢٧٧)، ومقالات الإسلاميين:٦٥/١، والتبصرة في أصول الدين ص:١٦، وأصول منهب الشيعة لناصر القفاري (٥٣/١).

(٤) بحار الأنوار (١٨٠/٩٤)، انظر: أصول منهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٥٥٨/٢).

(٥) كتاب سليم بن قيس ص: ٣٨، انظر: أصول منهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد (٢٣٠/١).

(٦) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (٣٨/١١) وقال عنه الذهبي: ((مولى بني أسد بن خزيمة، كوفي يلقب شقوصاً، نزل بغداد)).

عيسى عليه السلام، ومن علي -رضي الله عنه- ومع ذلك فقد نهى عن مثل هذا الغلو فقال: "إنما أنا بشر مثلكم"[1]، وقد أنكر النبي -صلى الله عليه وسلم- أشياء دون هذا في زمانه فلما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- رجلاً قال: ما شاء الله وشئت قال: "أجعلتني لله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده"[2]، وسد -صلى الله عليه وسلم- ذرائع الشرك، وقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله"[3] وعبد الله: تبطل الغلو، ورسوله: تبطل الجفاء، والحق هو التوسط بين الغلو والجفاء فلا يرفع فيعطى خصائص الرب، ولا يجفى فلا يمتثل أمره ولا تتبع سنته.

قال ابن باز (ت١٤٢٠هـ): ((فمن قال: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، فهو كافر؛ لكونه وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- بأسماء أربعة مختصة بالله ﷻ لا يستحقها غيره، وهذا لا يقوله عاقل يفهم ما يقول، الأول والظاهر هو الله وحده سبحانه، وهو الذي قبل كل شيء...وقد توفي عليه الصلاة والسلام، ووجد بعد أن كان معدوماً، وجد في مكة بين أمه آمنة وأبيه عبد الله وكان عدماً قبل ذلك، ثم وجد من ماء مهين، وغيره من البشر كذلك، فالذي يقول: إنه الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو ضال ومرتد إن كان مسلما))[4].

٤ - التفصيل في نفي أزلية الزمان والمكان:

لم يشارك الله تعالى أحد في أوليته وأزليته، ويدخل في ذلك النفي الزمان والمكان المخلوقين، فإن مصطلح الزمان والمكان قد يراد بنفي أزليته معنى حق وقد يراد به معنى باطل:

ذهب أهل السنة من أتباع السلف الصالح إلى أن الزمان المخلوق وهو الليل والنهار وما سكن فيهما ليس بأزلي، بل هو مخلوق، والله كان قبله بأسمائه وصفاته وأفعاله لم يحتج إلى ذلك الزمان المخلوق حتى توجد صفاته، وكذلك المكان المخلوق، وهو

---

(١) أخرجه البخاري ح:٤٠١، ومسلم ح:٥٧٢ من حديث ابن مسعود.

(٢) أخر جه أحـ مد ح:١٨٣٩ (٣/ ٣٣٩)، وأخر جه ا بن أ بي شيبة (١٠/٣٤٦)، وا بن ما جه (٢١١٧) (١/ ٦٨٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري ح:٣٤٤٥.

(٤) مجـ موع فـ تا وى ا بن باز (٢٨/ ٣٢٣-٣٢٤)، ولـ لشيخ ا بن عثيـ مين كلام مـ حرر وجـ يد في مجـ موع فـ تا وى ورسائل العثيمين (٢٣/ ٤٢٧).

السموات والأرض وما فيهما هو منفي عن الله، فالله تعالى كان قبل تلك الأماكن المخلوقة من العالم، فهو ليس حالاً في شيء من مخلوقاته، بل هو بائن عنه، فتبين أن مراد السني من نفي أزلية الزمان والمكان هو نفي أزلية الزمان والمكان المخلوقين[1].

قال ابن عبد البر: ((كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة والسموات والأرض وما بينهما... وقد صح في المعقول، وثبت بالواضح من الدليل، أنه كان في الأزل لا في مكان))[2]، وقال شيخ الإسلام: ((لا نزاع بين أهل الملل أن الله سبحانه كان قبل أن يخلق هذه الأمكنة والأزمنة، وأن وجوده لا يجب أن يقارن هذه الأزمنة والأمكنة))[3]، وقال أيضاً: ((وأما قوله: إن قلت متى؟ فقد سبق الوقت ذاته، فهذا صحيح، فإن الله لا يقال: متى كان؟ إذ هو القديم الذي لم يزل ولا يزال))[4].

وذهب معطلة صفات الأفعال إلى إنكار أزلية الزمان والمكان، وأرادوا من وراء ذلك نفي صفات الله الفعلية، ونفي علوه واستوائه على عرشه، وقد استدل الرازي على نفي المكان عن الله تعالى بأنه لو كان الباري أزلاً وأبداً مختصاً بالحيز والجهة لكان الحيز والجهة موجودان في الأزل، فيلزم إثبات قديم غير الله وذلك محال بإجماع المسلمين[5].

والحجة التي ذكرها الرازي من لزوم إثبات قديم غير الله تعالى مشهورة من حجج النفاة للصفات، وقد رد ابن تيمية على كلام الرازي السابق بقوله: ((يقال له: هؤلاء إن قالوا: بأنه مختص بحيز وجودي أزلاً وأبداً، فليس ذلك عندهم شيئاً خارجاً عن مسمى الله، كما أن الحيز الذي هو نهايات المتحيز وحدوده الداخلة فيه ليس خارجاً عنه بل هو منه، وعلى هذا التقدير فيكون إثباتهم لقدم هذا الحيز كإثبات سائر الصفاتية للصفات القديمة من علمه وقدرته وحياته، لا فرق بين تحيزه وبين قيامه بنفسه وحياته وسائر صفاته اللازمة، والحيز مثل الحياة، بل أبلغ منه في لزومه للذات))[6].

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٨٢-٢٨٩) فقد فصل في أقسام الزمان.
(٢) التمهيد (٧/ ١٣٥-١٣٦).
(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٦٢).
(٤) الاستقامة (١/ ١٣٤).
(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٦٥٣).
(٦) المرجع السابق (٣/ ٦٥٣).

٥ - دلالة اسم (الأول) على إبطال قدم العالم:

إن العالم بجميع أركانه وأجسامه وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوانات وجميع الأفعال والأقوال والاعتقادات كله مخلوق كائن عن أول، حادث بعد أن لم يكن شيئاً، وهو سبحانه المختص بالقدم والأزلية، فليس في مفعولاته قديم، وإن قدر أنه لم يزل فاعلاً، وليس معه شيء قديم بقدمه، بل ليس في المفعولات قديم ألبتة بل لا قديم إلا هو سبحانه، وهو وحده الخالق لكل ما سواه، وكل ما سواه مخلوق كما قال سبحانه ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الرعد:١٦][١].

أ - عرض مقولات الناس في حقيقة العالم:

اختلفت مقولات الناس في حقيقة العالم على ثلاثة أقوال:

الأول: أن هذا الكون مخلوق محدث لله بعد أن لم يكن، ((والله خالق كل شيء فما سوى الله من الأفلاك والملائكة وغير ذلك مخلوق ومحدث وكائن بعد أن لم يكن، مسبوق بعدم نفسه، وليس مع الله شيء قديم بقدمه في العالم، لا أفلاك ولا ملائكة سواء سميت عقولا ونفوساً أو لم تسم))[٢]، كما نصت على ذلك الآيات والأحاديث، وتواترت وأجمعت عليه الأمة، وهذا القول إقرار بأولية الله واختصاصها به.

الثاني: أن هذا العالم قديم بذاته، ليس له خالق خلقه، وهذا القول إنكار لأولية الله بل إنكار لوجود الرب، وهذا هو الكفر المتفق عليه بين الأئمة، لأنه يعني إنكار الصانع[٣].

الثالث: أن العالم قديم ولكنه مخلوق لله، وهو لازم لذات الله لزوم العلة للمعلول وموجب بذات الله غير منفك عنه، ويقولون بقدم عين الفلك، وأنه لم يزل ولا يزال[٤]، وهذا قول حادث قال به ابن سينا(ت ٤٢٨هـ) وجماعة من متأخري الفلاسفة، وحقيقة قولهم إنكار الصانع، وهذا ما اعترف به قدماؤهم، ((ولهذا قال قدماء النظار عندهم: كل من قال: العالم قديم فقد أنكر الصانع، إذ كانوا لا يعقلون أن يقال: هو قديم وهو مفعول ولكن متأخريهم لما رأوا من قال من الفلاسفة إنه معلول غير واجب ذكروا هذا القول

---

(١) انظر: التبصير في الدين ص:١٥٣، ودرء التعارض (٢٧٢/٨).
(٢) الصفدية (١/ ١٤).
(٣) وهذا قول الدهريين والملاحدة انظر: الشفا للقاضي عياض ص:٦٠٤، ودرء التعارض (١٢٩/١).
(٤) انظر: تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي ص: ٨٨.

وبحثوا مع أصحابه))[1]. وهؤلاء القائلون بأن العالم معلول لعلة مبدعة هم شر من أكثر المشركين وعباد الأصنام[2]. وإذا قيل: إن المسلمين أجمعوا على نقيض قولهم أو على كفر من قال بقولهم، كان قولاً متوجهاً. فإنه قد عُلِم بالاضطرار من دين الرسول أنه أخبر بخلق السموات والأرض بعد أن لم تكن مخلوقة[3].

ب - دلالة اسم (الأول) على إبطال قدم العالم:

تبين من عرض الأقوال السابقة معارضة القول الثاني والثالث لاسم الأول ومن تدبر اسم (الأول) وجد فيه برهاناً ظاهراً على إبطال مقولة قدم العالم. وذلك أن اسم الأول يدل على معان كثيرة كلها تحصر الأولية في الله وتبطل أولية شيء معه. فهو السابق لكل شيء، وما عداه من أي ذات فهي آتية بعده، وكل من أتى بعده فلا بد أن يكون مخلوقاً حادثاً كائناً بعد أن لم يكن، وكل مخلوق فلا بد أن يكون له خالق غير مخلوق قطعاً للتسلسل، وليس من مخلوقاته قديم ولا مقارن له سبحانه[4]. ولو كان العالم قديماً لما كان هناك أول، لأن الكل قديم أزلي. فيبطل عند ذلك إطلاق اسم الأول على الله الذي يدل ظاهره بدون خفاء على وجود متقدم واحد على باقي الموجودات التي أتت بعده.

وقد دل كلام العلماء باستدلالهم باسم الأول على حدوث ما عداه:

قال ابن منده: ((قال أهل التأويل: معنى الأول هو الأول بالأولية، وهو خالق أول الأشياء، وسماه أول الأشياء))[5]. وقال القرطبي: ((فتضمنت أوليته سبحانه حدوث كل شيء))[6]. وقال ابن تيمية: ((فإذا كان هو الأول كان هناك ما يكون بعده))[7]. و قال الآلوسي: ((هو الأول السابق على جميع الموجودات. فهو سبحانه موجود قبل كل

---

(1) الصفدية (٢/ ١٥٩).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/ ٢٣٢).

(٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٣/ ٣٤٧).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ١٠٥). والصفدية (٢/ ١٦٣).

(٥) التوحيد (٢/ ٨٢).

(٦) الأسنى للقرطبي ص: ١٥٠.

(٧) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٢٨).

شيء حتى الزمان، لأنه جل وعلا الموجد والمحدث للموجودات))[1]. وقال السعدي: ((فالأول يدل على أن كل ما سواه حادث بعد أن لم يكن))[2].

ج – أدلة حدوث العالم وإبطال قدمه:

الأدلة على بدء خلق الأفلاك، وخلق الزمان –الذي هو مقدار حركة الفلك– كثيرة أخبرت بها الرسل، وأما جعل المفعول المعين مقارناً له تعالى أزلاً وأبداً فهو باطل عقلاً وشرعاً، ولا يقوله إلا جاهل أو معطل، وفيما يأتي بيان بعض أدلة إبطال قدم العالم:

١– إجماع الأديان السماوية على حدوث ما سوى الله:

أجمع الرسل عليهم السلام على أن كل ما سوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن، وأنه ﷻ خلق جميع الموجودات وأحدثها بعد أن لم تكن، وأخبرت الكتب السماوية جميعها بذلك[3]، ومما نص عليه القرآن الكريم في هذا الأمر:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦] وهذا دليل على حدوث العالم، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [مريم:٩]، وهذه الآية تدل على أنه تعالى خلق الإنسان وأوجده بعد أن لم يكن[4]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [هود:٧] هذه الآية صريحة في إثبات حدوث السماوات والأرض، لأن القديم الأزلي لا يكون خلقه في أيام، وقد أشارت الكتب السماوية الأخرى إلى ما أشار إليه القرآن الكريم من خلق السموات والأرض في ستة أيام[5].

٢– استقرار الفطر السليمة على حدوث ما سوى الله:

استقر في فطر الناس أن السموات مخلوقة مفعولة، وقد أحدثها خالقها بعد أن لم تكن، ولم يخطر بالفطرة السليمة أنها معلولة لفاعل قديمة معه، والفطرة تقر أيضاً أن

(١) روح المعاني (٢٧/١٦٥).

(٢) الحق الواضح المبين (٦/٥١٤)، وانظر: التفسير المنير (٢٧/٢٩٠)، وفتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/٣٩٤).

(٣) انظر: الصفدية (١/١٤)، ومجموع الفتاوى (٩/٢٨١)، ودرء التعارض (١/١٢٣، ٨/٢٨٠)، ومنهاج السنة (١/١٣٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٤٦)، ودرء التعارض (٨/٢٨٠)، ومنهاج السنة (١/١٠٠).

(٥) انظر: منهاج السنة (١/١٠٠-١٠١)، ودرء التعارض (٨/٢٨٠)، ومجموع الفتاوى (٩/٢٨١).

الشيء المفعول المخلوق معناه: أنه كائن بعد أن لم يكن، وهي تنكر أن السموات والأرض قد خلقتا مع الله أزلا[1].

٣ - إجماع أهل الملل والأديان على أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق:

أجمع أهل الملل والأديان على أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن، ولم يثبت أن أهل ملة أو دين زعموا قدم شيء من العالم، لا الملائكة، ولا الأفلاك، ولا السموات، ولا الأرض، ولا شيء مما خلقه الله تعالى[2]، قال ابن حزم: ((اتفقوا أن الله ﷻ وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره... وأن النفس مخلوقة، والعرش مخلوق، والعالم كله مخلوق))[3].

٤ - إجماع العقلاء من جميع الطوائف على أن العالم حادث:

أجمع العقلاء من جميع الطوائف بمن فيهم أساطين الفلاسفة قبل أرسطو(ت ٣٢٢ ق.م) على أن العالم حادث، وأما القول بقدم العالم فلم يعرف قبل أرسطو، وهو أول الفلاسفة الذين ابتدعوا هذا المذهب، واشتهر في العالم الإسلامي من قبل شرذمة من الفلاسفة، أمثال ابن سينا(ت ٤٢٨ هـ)، والفارابي(ت ٣٣٩ هـ)، وابن رشد(ت ٦٠٤هـ)[4].

وقد دل العقل الصريح على حدوث العالم، ومن تلك الأدلة:

الدليل الأول: كل موجود سوى الله فإنه مفتقر بذاته إلى الله:

من لوازم حقيقة العالم الحدوث، فهو صفة لازمة له، لا تنفك عنه، فلا يمكن للمخلوق أن يكون غير محدث، قال ابن تيمية: ((فإن افتقار كل ما سوى الله إلى الله هو حكم وصفة ثبت لما سواه، فكل ما سواه، سواء سمي محدثاً أو ممكناً أو مخلوقاً أو غير ذلك، هو مفتقر محتاج إليه، لا يمكن استغناؤه عنه بوجه من الوجوه، ولا في حال من الأحوال، بل كما أن غنى الرب من لوازم ذاته، ففقر الممكنات من لوازم ذاتها وهي لا

---

(1) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١٤٦، ١٨/٢٢٦).

(2) انظر: الصفدية (١/١٠).

(3) مراتب الإجماع لأبي محمد بن حزم ص: ١٦٧، وانظر: نقد مراتب الإجماع لابن تيمية ص: ٣٠١-٣٠٢.

(4) انظر: الصفدية (١/١٠، ١٣٠، ٢٣٦-٢٣٧)، وإغاثة اللهفان (٢/٢٧٦).

حقيقة لها إلا إذا كانت موجودة، فإن المعدوم ليس بشيء، فكل ما هو موجود سوى الله، فإنه مفتقر إليه دائماً حال حدوثه وحال بقائه))[1].

الدليل الثاني: العالم ممكن يقبل الوجود والعدم:

الحوادث جائزة الوجود فلا تكون قديمة، لأنها لو كانت قديمة واجبة الوجود بذاتها لم تقبل العدم، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها. قال الإسفراييني(ت٤٧١هـ): ((وما كان واجب الوجود لا يصير جائز الوجود، كما أن جائز الوجود لا يصير واجب الوجود بحال، لأنهما صفتان متناقضتان))[2]، وقال عبد الرزاق عفيفي(ت ١٤١٥هـ): ((إثبات أن العالم ممكن إن ما شاهدناه في ماضينا من الكائنات وما نشاهده منها في حاضرنا ممكن، أي جائز الوجود والعدم، وذلك لأنا نراه يتحول من عدم إلي وجود، ومن وجود إلي عدم، وهذا التغير والتحول دليل إمكانه، إذ لو كان واجباً لما سبق وجوده العدم، ولما لحقه فناء ولو كان مستحيلاً لما قبل الوجود، لأن المستحيل لذاته لا يوجد، وحيث إننا شاهدناه موجوداً بعد عدم ثبت أنه ممكن))[3].

الدليل الثالث: العالم محتاج إلي صانع:

وإذا ثبت أن العالم ممكن فالممكن لا يوجد نفسه، بل لا بد له من موجد، قال عبد الرزاق عفيفي: ((الممكن محتاج إلي موجد ومؤثر... وحيث ثبت أن العالم ممكن، والممكن ما استوى طرفاه –الوجود والعدم– بالنسبة إلي ذاته، فوجوده ليس من ذاته وعدمه بعد وجوده ليس من ذاته، إذن لابد له من سبب يرجح وجوده على العدم، إذ لو وجد بدون سبب خارج عن ذاته وحقيقته للزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر بلا مرجح وهو باطل، ولو أوجد الممكن نفسه للزم من ذلك أن يكون متقدماً على نفسه باعتباره خالقاً لها، ومتأخراً على نفسه باعتباره مخلوقاً لها، وتقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها محال بالضرورة، لما فيه من التناقض الواضح، فثبت أن الممكن لابد له من

---

(١) منهاج السنة (١/ ٢٥٣)، وانظر: الاستقامة لابن تيمية (١/ ١٢١).
(٢) التبصير في الدين ص:١٥٣.
(٣) سيرة حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي لمحمد بن أحمد سيد أحمد (٣/ ١١).

موجد غير ذاته وحقيقته، يوجده ويدبر شؤونه في كل أحواله. هذا المغاير: إما المستحيل، وإما الواجب، لا جائز أن يكون موجده هو المستحيل، لأن المستحيل غير موجود فلا يؤثر ولأن فاقد الشيء لا يعطيه، فثبت أن موجده هو الواجب وهو الله تعالى.

... وقد أرشدنا الله تعالى إلي ذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥] ... فقد أنكر سبحانه أن يكونوا قد خلقوا بلا خالق، وأن يكونوا قد خلقوا أنفسهم، فإذن لا بد من خالق موجود مغاير لهم وهو الله تعالى ... ومن ذلك يتضح اتفاق الفطرة والعقل السليم والسمع على أن العالم محتاج إلي صانع، ومستند إلي موجد أوجده))[١].

المطلب الثاني: أن الله فرد واحد لا مثيل له:

١- يدل اسم (الأول) على أن الله فرد واحد:

فإن معنى الأول ملازم لمعنى الأحد، لأن الأول لا بد أن يكون فرداً واحداً وهذا المعنى يتضمّن نفي المثل، فأولية الله تعالى تعني أنه جمع بين صفتين: الصفة الأولى: أنه واحد فرد، والصفة الثانية: أنه سابق لغيره، قال الرازي: ((فالأول هو الفرد السابق ولذلك لو قال: أول عبد اشتريته فهو حر، فلو اشترى أولاً عبدين لم يحنث، لأن شرط الأول أن يكون فرداً، وهذا ليس بفرد، فلو اشترى بعد ذلك واحداً لم يحنث أيضاً، لأن شرط الفرد أن يكون سابقاً، وهذا ليس بسابق، فلما وصف الله تعالى نفسه بكونه أولاً وجب أن يكون فرداً سابقاً، فوجب ألّا يكون له شريك))[٢].

وقال أحمد الفيومي (ت٧٧٠هـ) في مادة (أول): ((ويكون بمعنى الواحد، ومنه في صفات الله تعالى هو (الأول)، أي هو الواحد، الذي لا ثاني له، وعليه استعمال المصنفين في قولهم: وله شروط (الأول) كذا، لا يراد به السابق الذي يترتب عليه شيء بعده، بل المراد الواحد، وقول القائل: أول ولد تلده الأَمَةُ حُرٌّ محمول على الواحد أيضاً حتى يتعلق الحكم بالولد الذي تلده، سواء ولدت غيره أم لا))[٣].

---

(١) سيرة حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي (٣/١١).

(٢) مفاتح الغيب للرازي (٢٢/١٣٣)، وانظر له أيضاً بعبارة أخرى في تفسيره (٢٩/١٨٦)، وانظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٢/١٤٠).

(٣) المصباح المنير ص: ٢٠، وانظر كلام ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢٧/٣٦١).

٢ - يدل الاسم (الأول) على امتناع أن يكون لله أصل أو فرع:

يدل معنى الأول على نفي المجانسة والمماثلة لغيره، ولذلك كان فرداً واحداً، فاستحق الله اسم (الأول) الذي يدل على تقدمه على غيره في كل شيء، فلم يكن له والد، لأنه لو كان لله والد لكان ذلك الوالد أصلاً له مجانساً له، فاستحق اسم (الأول) قبله لأن الولد يأتي بعد والده، ولما كان ذلك المعنى ممتنعاً على الله تعالى لأنه لم يسبقه شيء كان الله هو الأول حقيقة، وكذلك اسم (الأول) يمنع أن يكون لله تعالى ولد، لأن الولد مماثل لأبيه، ولو كان هذا جائزاً على الله لما استحق أن يطلق عليه (أول)، لأن معنى الأول يدل على أنه مختص بالفردية الأحدية، وهذا يمنع وجود الولد.

ثم إن الوالد والولد يدلّان على الحدوث، ويستلزمان العدم، وهذا ينافي اسم الأوّل قال القرطبي: ((فالولدية تقتضي الجنسية والحدوث، والقدم يقتضي الوحدانية والثبوت، فهو سبحانه القديم الأزلي الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ثم إن البنوة تنافي الرق والعبودية، فكيف يكون ولد عبداً؟! هذا محال وما أدى إلى المحال محال))[١].

وقال ابن عاشور: ((واعلم أن هذا الوصف الأول يستلزم صفة الغنى المطلق وهي عدم الاحتياج إلى المخصص، أي مخصص يخصصه بالوجود بدلا من العدم، لأن الأول هنا معناه الموجود لذاته دون سبق عدم))[٢].

٣ - لا يعني اسم (الأول) أن له ثانياً وآخراً يماثله:

اسم (الأول) يُثبت وجود الآخر من وجه وينفيه من وجه، فالآخر الذي يعني وجود موجودات مستقلة بذاتها، لها وجود يناسبها، ولا يماثل وجود الله فهذا حق وسيأتي في المطلب التالي، وأما الآخر الذي يعني مماثلته لله تعالى فلا يمكن وجوده في العالم، لأن إطلاق اسم الأول على الله يبطله، فلو كان هناك ثان يأتي بعد الله يماثله لما اختص الله بالأولية، قال الأزهري: ((وقال الزجّاج في قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:٩٦] قال: (أوّل) في اللغة على الحقيقة: ابتداء الشيء، قيل:

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٨٥) وانظر: مدارج السالكين (١/ ٥١).
(٢) التحرير والتنوير (٢٧/ ٣٦٠).

وجائز أن يكون المبتدأ له آخر، وجائز ألاّ يكون له آخِر، فالواحد أول العدد، والعدد غير مُتناه، ونعيم الجنة له أول، وهو غير منقطع، وقولك: هذا أول مال كسبته، جائز ألايكون بعده كَسْب، ولكن أراد: بل هذا ابتداء كَسْبي، قال: ولو قال قائل: أول عبد أملكه حُرّ، فملك عبداً، لَعَتَق ذلك العبد، لأنه قد ابتدأ المِلْك، فجائز أن يكون قول الله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران:٩٦] هو البيت الذي لم يكن الحج إلى غيره))[١].

وقال النووي(ت٦٧٦هـ): ((ومما يستدل به على أن لفظة أول لا يشترط أن يكون له ثان قول الله تعالى:﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾[الدخان:٣٥] وهم كانوا يعتقدون أنه ليس لهم موتة بعدها، قال الواحدي(ت٤٦٨هـ) في تفسير قول الله عز وجل:﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾[البقرة:٤١] وقد قال الشيخ أبوعلي السنجي(ت٤٢٧هـ): إذا قال لزوجته: إن كان أول ولد تلدينه من هذا الحمل ذكرا فأنت طالق، فولدت ذكراً ولم يكن غيره قال أبو علي: اتفق أصحابنا على أنه يقع الطلاق، وليس من شرط كونه أولاً أن تلد بعده آخرا، إنما الشرط ألا يتقدم عليه غيره))[٢].

٤ –دلالة اسم (الأول) على أن خالق العالم فرد واحد:

لما ثبت أن الأول دال على الفردية الأحدية السابقة لكل الموجودات، و كل الموجودات أتت بعده، فهذا يدل على أن الله هو وحده الخالق لتلك الموجودات، قال الإسفراييني: ((وأن تعلم أنه لا يجوز الشريك له في المملكة لما قد بينا من أن الخالق واحد لا ثاني له))[٣].

المطلب الثالث: أن هناك موجودات غيره:

تبين في المبحث السابق أن اسم (الأول) يُثبت وجود الآخر من وجه وينفيه من وجه آخر، فاسم الأول يبطل الآخر المماثل لله، وهو ما سبق بحثه في المطلب السابق، وأما الآخر المخلوق الذي له وجود يناسب نقصه فاسم الأول يثبته، وهو ما سنقرره في هذا المطلب.

---

(١) تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٧)، وانظر: لسان العرب (١١/ ٧١٥).

(٢) تهذيب الأسماء ص:٩٨٦

(٣) التبصير في الدين ص: ١٦٠.

وبيان ذلك أن اسم (الأول) يدل على أن الله فرد واحد لا مماثل له، ولا يعني ذلك أنه إن كان فردا واحدا: أنه لا يوجد في العالم إلا ذلك الفرد، وأن العالم ذلك الفرد فيصار إلى عقيدة وحدة الوجود، وهذا المعنى باطل، ويبين بطلانه أن اسم (الأول) يدل على أن هناك موجودات غيره، قال ابن تيمية: ((فإذا كان هو الأول كان هناك ما يكون بعده))[1]، وإلا لما أطلق عليه (أول)، فهو أول سابق بالنسبة لمن يأتي بعده، فلو كانت الموجودات كلها ذاتاً واحدة وهي ذات الله تعالى لبطل اطلاق اسم (الأول) عليه، لأنه لا يوجد غيره، فكيف يقال هو أول على نفسه.

ولا يعني دلالة اسم (الأول) على وجود موجودات غيره أنها تماثله وتكافئه لأن اسم (الأول) يدل على تفرده في كمال الذات، فتحصل من اسم (الأول) أن الله فرد واحد سابق لغيره من الموجودات التي لا تماثله، فحصل إثبات الفردية له مع عدم وجود المماثل له في الكمال وأن وجود ذلك الغير في العالم على وجه النقص.

وفي هذا المطلب رد على جميع العقائد التي تنكر وجود غير الله وتحصر الوجود في الله تعالى، وفيما يلي إبطال عقيدة وحدة الوجود، وعقيدة الحقيقة المحمدية اللتين تبطلان اسم (الأول) من حيث إنكار وجود غير الله، لأنها تحصران الوجود في الله فلا يمكن والحالة كذلك أن يكون الله أولاً، لأنه ليس في الوجود إلا هو، فيبطل أن يكون هناك أول وآخر.

١- دلالة اسم (الأول) على إبطال عقيدة وحدة الوجود:

أ- استدلال غلاة الصوفية باسم الأول على إثبات عقيدة وحدة الوجود:

ذهب غلاة الصوفية إلى أن نفس وجود رب العالمين الخالق القديم الأزلي الواجب بنفسه هو نفس وجود المربوب المصنوع الممكن[2]، فليس في العالم اثنينيّة وذوات مختلفة، بل هي ذات واحدة، فقوله ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣] دليل على أنه ما ثم في الوجود إلا هو، وزعموا أن اسم الأول يدل على عقيدة وحدة الوجود.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٢٨).
(٢) انظر: الجواب الصحيح (٥/٧٨).

فقد نقل عن أبي سعيد الخراز(ت٢٨٦هـ) أنه قيل له: بماذا عرفت ربك؟ قال: ((بجمعه بين الأضداد وقرأ قوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الحديد:٣]))[1]، وقد بين ابن عربي(ت٦٣٨هـ) في الفتوحات أن مراد الخراز هو القول بوحدة الوجود فقال: ((هو الأول والآخر والظاهر والباطن يريد من وجه واحد لا من نسب مختلفة، كما يراه أهل النظر من علماء الرسوم))[2].

قال الواسطي(ت٣٣١هـ): ((لم يدع للخلق نفساً بعدما أخبر عن نفسه أنه: الأول والآخر والظاهر والباطن))[3]، وقال جعفر بن محمد(ت١٤٨هـ): ((هو الذي أول الأول وأخر الآخر، وأظهر الظاهر، وأبطن الباطن، فسقطت هذه المعاني وبقى هو))[4]، وقال ابن مشيش(ت٦٢٢هـ) لأبي الحسن الشاذلي(ت٦٥٦هـ): ((يا أبا الحسن، حدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء، وعند كل شيء، ومع كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، وقريباً من كل شيء، ومحيطاً بكل شيء بقرب هو وصفه، وبحيطة هي نعته، وعد عن الظرفية والحدود، وعن الأماكن والجهات، وعن الصحبة والقرب بالمسافات، وعن الدور بالمخلوقات، وأمحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو هو هو، كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان))[5].

وقال ابن عجيبة(ت١٢٢٤هـ): ((فتحصل انفراد الحق بالوجود، وليس مع الله موجود قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[الحديد:٣]))[6]، وقال أيضاً: ((فما حجبك عن شهود الحق وجود شيء معه إله مع الله تعالى الله عما يشركون، ولكن حجبك عن شهوده توهم وجود موجود معه، لا شئ معه، وكما كان ولا شيء بقى ولا شيء هو الأول والآخر والظاهر والباطن، واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله))[7].

ب – بيان دلالة اسم (الأول) على إبطال عقيدة وحدة الوجود:

---

(١) البحر المديد (٧/ ٤٦٧).

(٢) الفتوحات المكية (١/ ١٨٤)، وللفائدة انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٧٩)، والرد على وحدة الوجود ص: ١٠٦.

(٣) حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي (٢/ ٣٠٦).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٣٠٦).

(٥) إيقاظ الهمم ص: ٣٠.

(٦) المرجع السابق ص: ٣١.

(٧) المرجع السابق ص: ١٥١.

اختلف الناس في علو الله ومباينته لخلقه على أربعة أصناف: فصنف يقول: لا هو تعالى داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته، وصنف يقول: إنه تعالى بذاته في كل مكان، فهو إذن عين وجود المخلوقات، وصنف يقول: هو تعالى فوق العرش وهو في كل مكان أيضاً، وسلف الأمة يقولون: بل الله فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه وهم بائنون منه، ولكنه معهم عموما بعلمه، ومع أوليائه بالنصر خصيصا[1].

وكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة مملوء بأن الله تعالى هو العلي الأعلى، فوق كل ما سواه، على عرشه فوق سمائه كما شهدت بذلك الدلائل اللغوية والعقلية والواقعية منذ بدء الخليقة[2] ومن تدبر اسم (الأول) وجد أنه يدل على نفي وإثبات، ففي مجال النفي دل اسم (الأول) على نفي أمرين عن الله تعالى: نفي أن يسبقه أحد، ونفي أن يكون معه أو يقارنه أحد في الوجود والكمال، وفي مجال الإثبات: دل اسم (الأول) على تفرد ذات واحدة بالتقدم والسبق على باقي الموجودات، فذات الله موجودة، وغيرها من الذوات موجودة، وهذا هو المفهوم من وصف الله بالأول، فهو يعني أن غيره موجود لكنه آت بعده، إلا أن لكل وجود ما يخصه فوجود الله أول كامل في ذاته وأسمائه وصفاته، ووجود غيره وجود نقص، لأنه مخلوق حادث بعد أن لم يكن، وهو متأخر عن وجود الله.

٢- دلالة اسم (الأول) على إبطال عقيدة الحقيقة المحمدية:

أ- استدلال غلاة الصوفية باسم (الأول) على إثبات عقيدة الحقيقة المحمدية:

يعتقد بعض غلاة الصوفية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- هو الله سبحانه ذاتاً وصفة، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه هو الوجود المطلق، والوجود المقيد وأنه لا شئ قبله، أو معه، ثم تعين في صور مادية سمى في واحدة منها بجماد وفي أخرى بحيوان، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمى، وصدقت ماهيته على كل ماهية[3] بل صرحوا بأن نور النبي -صلى الله عليه وسلم- قديم أزلي، وأن من نوره خلق الله

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/١٢٢-١٢٦، ٣٠٢-٣٠٩).
(٢) انظر: المرجع السابق (٥/١٣).
(٣) هذه هي الصوفية للوكيل ص: ٧٢.

الأ شياء، وأن نور النبي – صلى الله عليه وسلم – أول صادر عن الله[1]، فقد ذكر الصيادي(ت ٦٧٠هـ) في قلادته الصلاة الرفاعية، ونصها: ((اللهم صلّ على نورك الأسبق الذي أبرزته رحمة شاملة لوجودك، نقطة مركز الباء الدائرة الأولية، الذي فتقت به رتق الوجود، وخصصته بالمقام المحمود، وأقسمت بحياته، فهو سرك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري، الذي أحييتَ به الموجودات من معدن وحيوان ونبات))[2] ووصفه الصيادي بأنه –صلى الله عليه وسلم–: نور من نور الله، وسر من أسراره، وهذا السر قديم مع قدم الله[3].

وقالت فاطمة اليشرطية(ت ١٣٩٩هـ): ((وقد أجمعت السادة الصوفية على أن الحقيقة المحمدية هي التعيين الأول، الذي ظهرت منه النبوة والرسالة والولاية ونشأت عنه جميع التعينات، ولأجل ذلك كان نبينا عليه الصلاة والسلام سيد الوجود، وأصل كل موجود، وهو أول الأولين))[4].

ب – العلاقة بين الحقيقة المحمدية ووحدة الوجود وصلتهما باسم الأول:

عقيدة الحقيقة المحمدية متفرعة عن عقيدة وحدة الوجود، وهي المرحلة الثانية منها، ومذهب وحدة الوجود والحقيقة المحمدية شيء واحد، والعلاقة بينهما كالعلاقة بين الكل وجزئه، وخلاصة العلاقة: أن ذات الله تعالى الأولى كانت ذاتاً مخفية فأرادت أن تُعرف فانفصل منها جزء، لكي يعرف نفسه بنفسه، ومن هذا الجزء الثاني وجد كل مخلوق، بل هو في حقيقة كل موجود، فحقيقة الجزء المنفصل أنه من الأول، ولما انفصل هذا الجزء كان أول تعيين له هو النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– ثم من ذات النبي –صلى الله عليه وسلم – خرج كل موجود غير الذات الأولى، فهم يعتبرون أن ذات الله محتاجة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم – حتى تظهر وتعرف، ومؤدى عقيدة وحدة الوجود والحقيقة المحمدية واحد، فكلاهما حقيقته ذات الله، فمعنى أن الله هو كل الوجود هو معنى أن النبي –صلى الله عليه وسلم – هو كل الوجود، إذ أن النبي –صلى الله عليه وسلم – هو الجزء المنفصل من ذات الله، لكنه سمي محمداً، قال ابن عجيبة:

---

(١) كشف الأسرار لمصطفى نجا ص: ١٢٨.
(٢) قلادة النحر ص: ٢٤٩.
(٣) المرجع السابق ص: ٢٦٣.
(٤) رحلة إلى الحق ص: ١٠٩.

((فأول ما طلع من أسرار الذات الكنزية القبضة المحمدية، فمنها انشقت أسرار الذات وظهرت أنوار الصفات، فلولاه ﷺ ما ظهر الوجود، ولا عرف الملك المعبود، فهو الواسطة بين الله ومخلوقاته، فلولا الواسطة لذهب الموسوط))[1].

ويبين ذلك محمود أبو الشامات(ت١٣٤١هـ) فيقول: ((كان النبي -صلى الله عليه وسلم- مظهر الذات العلية والصفات السنية، ولذلك سمي سر الله، وسر الأسرار، وكنز الأسرار، ومعدن الأسرار))[2] ثم قال: ((إن ذات الله تبارك وتعالى وأسماءه وصفاته وأحكامه وجميع شؤونه، لا يمكن أن ينال منها شيء إلا بمظهر إمكاني... وكانت حضرته الشريفة -صلى الله عليه وسلم- عين الإمكان بأسره))[3]، ونهاية هذه العقيدة التي يسعون إليها هي إثبات أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نسخة إلهية عن الله تعالى وقد صرح أحد الشاذلية بهذا المصطلح وهو مصطفى أبو ريشة فقال: ((فجعلته نسختك العظمى))[4].

ج- بيان دلالة اسم (الأول) على إبطال عقيدة الحقيقة المحمدية[5]:

ما سبق عند الكلام على عقيدة وحدة الوجود من بيان دلالة اسم الأول على إبطال عقيدة وحدة الوجود هو كذلك يصلح رداً على عقيدة الحقيقة المحمدية، فالباب واحد وكلتا العقيدتين تقصر الوجود على الله تعالى، وتلغي وجود ما عداه، إلا أن الحقيقة المحمدية تعتبر مرحلة موصلة إلى العقيدة الغالية، وهي عقيدة وحدة الوجود التي تعتبر نهاية الوحدة.

ومن تأمل اسم (الأول) أدنى تأمل وجده يبطل هذه العقائد الكفرية أتم إبطال فلا يفهم من اسم الأول إلا أن هناك شيئاً سيأتي بعده، وإلا لما كان الله أولاً عليه فإن ثبت وجود الغير بطل عند ذلك القول بالوحدة، وقد سبق بيان هذه المسألة بالتفصيل في المطالب السابقة، فلا حاجة إلى إعادتها هنا.

---

(١) شرح صلاة ابن عربي لابن عجيبة ص: ٤٥.

(٢) الإلهامات الإلهية على الوظيفة اليشرطية ص: ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص: ٢٧.

(٤) النفحات القدسية العلية بشرح الوظيفة اليشرطية ص: ٣٠.

(٥) لم أجد بحسب علمي من نص على إبطال اسم الأول لعقيدة الحقيقة المحمدية وقد اجتهدت هنا في بيان ذلك.

المبحث الثالث: دلالة اسم (الأول) على أن لله تعالى الكمال المطلق:

اسم (الأول) من الأسماء الجامعة لصفات الكمال، التي تدل على كمال الله تعالى وتنزّهُهُ عن النقص[1]، ففيه إثبات ونفي، إثبات لكل صفات الكمال، ونفي لكل صفات النقص.

وذلك أن اسم (الأول) يدل على أن الله موجود بذاته وأسمائه وصفاته قبل كل موجود، فلم يحتج إلى أحد لحصول هذا الكمال، وقد تقرر عند أهل السنة والجماعة أن صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية[2]، فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- في سنته الصحيحة، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة والسمع والبصر، ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل:٦٠] والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى وقد دل العقل على إثبات كمال صفات الله تعالى، فإذا كان الله هو أول موجود وكل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[النحل:٢٠-٢١] وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾[مريم:٤٢] ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة: أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى فمعطي الكمال أولى به.

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب نفيها عن الله تعالى مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وكل صفة نقص لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، لقوله تعالى:

---

(1) انظر: التحرير والتنوير (٢٧/٣٥٧).
(2) انظر: القواعد المثلى ص:٢١.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[الفرقان:٥٨] وقوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾[فاطر:٤٤].

المطلب الأول: إثبات صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه لله تعالى:

اسم الله (الأول) يدل على ذات الله وعلى صفة (الأولية) المطلقة بدلالة المطابقة وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى صفة (الأولية) وحدها بالتضمن[١]، وصفة الأولية من الصفات الذاتية الثبوتية، واسم الله (الأول) يدل باللزوم على الحياة، والقيومية والسمع والبصر، والعلم، والحكمة، والمشيئة، والقدرة، والعلو، والغني، والعظمة، وغير ذلك من صفات الكمال[٢].

ومن الأولية تقدمه سبحانه على غيره تقدماً مطلقاً في كل وصف كمال، وهذا معنى الكمال في الذات والصفات في مقابل العجز والقصور لغيره من المخلوقات فلا يدانيه ولا يساويه أحد من خلقه، لأنه سبحانه منفرد بذاته ووصفه وفعله، والأولية وصف لله وليست لأحد سواه.

ويمكن بيان دلالة اسم الأول على إثبات صفات الكمال من الوجوه الآتية[٣]:

١- إذا كان الله تعالى هو الأول قبل كل شيء، فهل كان كاملا قبل وجود الخلق؟ أو لم يكمل إلا بعد وجودهم؟ والثاني ممتنع، لأنه يدل على نقص الله تعالى، والناقص لا يستحق أن يكون إلهاً خالقاً، فلزم أن يكون كاملاً قبل وجود الخلق، وإذا كان كاملاً فلا بد أن يكون متصفاً بجميع صفات الكمال.

٢- إذا ثبتت الأولية لله فكل من أتى بعده فالله هو خالقه، لأن الله سابق عليه، والمخلوق لا يخلق نفسه، ولا يُخلق من لا شيء، فلا بد له من خالق، وهو الله تعالى الذي ثبت سبقه على كل موجود، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور:٣٥]، وإذا ثبت أن المخلوق لا بد له من خالق سابق عليه، فإن هذا الخالق لا بد أن

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤٩/٨).

(٢) انظر: القواعد المثلى ص:١١، وأسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة ص:٢٦٥.

(٣) الوجه الأول إلى الوجه الرابع هو اجتهاد مني بعد تدبر اسم الله (الأول) ولذلك لم أذكر لتلك الأوجه مصدراً وقد يكون نبه عليها غير واحد من العلماء.

يكون غنياً بصفاته التي منها الخلق والعلم والقدرة والإرادة، وغيرها من الصفات التي يتم بها خلق المخلوقات.

٣ – لما وجد من مخلوقات الله من به نوع كمال صفات، وكان الله هو الذي خلقه وخلق صفاته، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦]، كان لزاماً أن يكون ذلك الأول الخالق أولى بهذه الصفات الكاملة التي تليق بجلاله، والتي لا نقص فيها بوجه من الوجه من ذلك المخلوق الذي ثبتت له تلك الصفات بوجه لا يماثل صفات الله تعالى بل ثبتت له بوجه يناسب نقصه، لأن معطي الكمال لا بد أن يكون كاملاً.

٤ – لما وجدت المخلوقات ووجد فيها الإتقان والإمداد، دل على أن خالقها اتصف بصفات كاملة خرج بها هذا الخلق المتقن، فلزم أن يكون الله رازقاً قيوماً مدبراً.

٥ – يدل (الأول) على أنه الموجود لِذاته دون سبق عدم، فهو واجب الوجود لذاته[١] لم يحتج إلى مخصص يخصصه بالوجود بدلاً من العدم، وهذا يستلزم صفة الغِنَى المطلق لله تعالى[٢]، وإذا لم يحتج إلى أحد في وجوده فكذلك لا يحتاج إلى أحد في وجود باقي صفات الكمال له، فأوليته تدل باللزوم على الحياة والقيومية، والسمع والبصر والعلم، والمشيئة والقدرة والعلو والغنى والعظمة، لأنه غني لا يحتاج إلى غيره في شيء، وهو المستغني بنفسه عن كل شيء، قال ابن عاشور: ((ويستلزم ذلك انفراده تعالى بصفة الوجود، لأنه لو كان غيرُ الله واجباً وجودُه لما كان الله موصوفاً بالأولية فالموجودات غير الله ممكنة، والممكن لا يتصف بالأولية المطلقة، فلذلك تثبت له الوحدانية، ثم هذه الأولية في الوجود تقتضي أن تثبت لله جميع صفات الكمال اقتضاء عقلياً بطريق الالتزام البينّ بالمعنى الأعمّ، وهو الذي يلزم من تصور ملزومه وتصوُّره الجزم بالملازمة بينهما))[٣].

المطلب الثاني: تنزيه الله عن صفات النقص:

ينبني على أن الله هو الأول أن ينزه عن كل صفة نقص، وعن جميع خصائص الحدوث التي تعارض سبقه لكل موجود، قال شيخ الإسلام: ((وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع

---

(١) انظر: المقصد الأسنى ص: ٢١٦.
(٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٧/٣٦٠).
(٣) التحرير والتنوير (٢٧/٣٦١).

عليه الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقه العدم، ولافتقار المحدَث إلى مُحدِث، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى))[1].

وفيما يلي ذكر لبعض صفات النقص والحدوث التي تنزه عنها سبحانه وتعالى لاتصافه بالأولية:

١- تنزه الله عن الاحتياج:

دل اسم (الأول) على أن كل صفة تدل على أن صاحبها محتاج ومفتقر إليها فالله تعالى منزه عنها، وذلك لأن اتصاف الله بالأولية يبطل الاحتياج من أصله، لأنه يدل على أزلية الله في ذاته وأسمائه وصفاته، فهو متصف بصفاته الكاملة قبل وجود خلقه، فلم يحتج إلى شيء من خلقه حتى يحصل له الكمال، بل هو الحي القيوم، فالأول يدل على كمال حياته، وقيامه بنفسه، فلا يفتقر لغيره، لا في وجوده، ولا في بقائه، ولا في صفاته وأفعاله، ويدل أيضاً على إقامته لغيره، وكمال غناه وملكه، فلا يحتاج ما يحتاج إليه المخلوق الفقير المحدث من الأكل والشرب، والسنة والنوم، والصاحبة والولد، والشريك، والظهير، ونظائرها من لوازم الحدوث والاحتياج، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥] وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن:٣]، و قال ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام:١٤]، و قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[الإخلاص:٢]؛ أي المصمت الذي لا جوف له، وقيل: هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب[2].

٢- تنزه الله عن الحدوث:

تنزه الله تعالى أن يكون مخلوقاً، فليس لأوليته حد ولا بداية، فحياته كاملة لم تسبق بعدم.

وقد دل اسم (الأول) على أنه ليس له أول ولا حد ولا بداية من وجوه:

الأول: لو كان لله بداية لكان قبله شيء مؤثر فيه، حدد بدايته، ولكان ذلك هو الرب الخلاق، ولا بد أن ينتهي الأمر إلى خالق غير مخلوق، وغني عن غيره، وكل شيء فقير

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى ص: ٢٦٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٥٢٨).

إليه، قائم بنفسه، وكل شيء قائم به، موجود بذاته، وكل شيء موجود به، قديم لا أول له، وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه[1].

الثاني: أولية الله ثابتة له بدون سبب وعلة، لأنه ليس له حد وبداية، وكل المخلوقات لها سبب وعلة في وجودها، وهي إرادة الله ومشيئته، فلها حد وبداية أرادها الله تعالى قال الحليمي(ت٤٠٣هـ): ((إذا كان موجودا لا عن أول ولا بسبب لم يجز عليه الانقضاء والعدم، فإن كل منقض بعد وجوده فإنما يكون انقضاؤه لانقطاع سبب وجوده، فلما لم يكن لوجود القديم سبب فيتوهم أن ذلك السبب إن ارتفع عدم علمنا أنه لا انقضاء له))[2]، وقال ابن حزم: ((اتفقوا أن الله ﷻ وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره))[3].

الثالث: أولية الله ذاتية من نفسه، لم يكتسبها من أحد فيمتنع عليه الحدوث، قال النفراوي(ت١١٢٦هـ): ((ليس لأوليته أي لوجوده ابتداء، لأنه قديم بالذات، وهو موجود لا ابتداء لوجوده لامتناع أن يسبق وجوده عدم، لأن القدم عبارة عن عدم الأولية للوجود لئلا يلزم حدوثه، ومن لازم الحدوث الافتقار إلى محدث، ويلزم التسلسل وهو محال))[4].

الرابع: من كان أولاً لكل ما سواه امتنع أن يكون له أول، قال الرازي: ((قال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾، فجعله أولاً لكل ما سواه، وما كان أولاً لكل ما سواه امتنع أن يكون له أول؛ إذ لو كان له أول لامتنع أن يكون أولاً لأول نفسه، ولو كان له آخر لامتنع كونه آخراً لآخر نفسه، فلما كان أولاً لكل ما سواه، وكان آخراً لكل ما سواه، امتنع أن يكون له أول وآخر، فهذا اللفظ يدل على كونه تعالى أزلياً لا أول له، أبدياً لا آخر له))[5].

وقد تواترت عبارات العلماء عند تعريفهم لاسم الأول على نفي البداية التي تدل على الحدوث[6]:

---

(١) انظر: زاد المعاد (٢/٤٦٢).

(٢) الأسماء والصفات (١/٤٤).

(٣) مراتب الإجماع ص: ١٦٧.

(٤) الفواكه الدواني (١/١٩٥).

(٥) مفاتح الغيب (١/١٠٩).

(٦) الحجة في بيان المحجة (٢/٤٥٦)، والاعتقاد والهداية ص: ٣٧، والفواكه الدواني (١/١٩٦)، ومرقاة المفاتيح (١٦/٣٩٦)، وتفسير البحر المحيط (٨/٢١٦).

قال ابن عطية(ت٥٤٢هـ): ((هو الأول: الذي ليس لوجوده بداية مفتتحة))[1]، وقد بين النفراوي في شرحه لكلام ابن أبي زيد: (ليس لأوليته ابتداء) علة نفي البداية عن الأولية عند كثير من العلماء فقال: ((لما كان لفظ الآية -أي قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾- يوهم ابتداء الأولية وانقضاء الآخرية على ما هو معهود في كل أول وفي كل آخر بين المؤلف المراد بقوله ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء... وهذا بخلاف أولية المخلوقات، فإن كل أول منها له آخر إلا الجنة والنار وأهلهما، فإن هذه لها أول باعتبار خلق الله إياها، وليس لها آخر لأنها لا تفنى))[2].

٣ - تنزه الله تعالى عن الفناء:

تدل أولية الله تعالى على أن الله منزه عن الفناء، فليس لآخريته نهاية ولا انقضاء، فلما كان وجوده لم يسبق بعدم، بل كان ذاتياً، امتنع أن يلحق وجوده نهاية وموت قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[الرحمن:٢٦]. قال النفراوي: ((ولا يجوز أن يكون لآخريته أي لبقائه انقضاء... لأنه تقرر أن كل ما ثبت قدمه استحال عدمه، لأنه لو قدر لحوق العدم له تعالى لكانت نسبة الوجود والعدم إلى ذاته تعالى سواء، فيلزم افتقار وجوده إلى موجد يخترعه بدلا عن العدم الجائز عليه، فيكون حادثاً واللازم باطل، فكذا الملزوم، لما تقرر من وجوب الوجود له تعالى))[3]. وقال البيهقي: ((إذا كان موجوداً لا عن أول ولا بسبب لم يجز عليه الانقضاء والعدم، فإن كل منقض بعد وجوده فإنما يكون انقضاؤه لانقطاع سبب وجوده، فلما لم يكن لوجود القديم سبب فيتوهم أن ذلك السبب إن ارتفع عدم علمنا أنه لا انقضاء له))[4].

* * *

---

(١) المحرر الوجيز(٥/٢٣٢).
(٢) الفواكه الدواني(١/١٩٥-١٩٦).
(٣) المرجع السابق(١/١٩٥).
(٤) الأسماء والصفات(١/٢٤)، وانظر: التبصير في الدين ص: ١٦٤، ومفاتح الغيب(١/١٠٩).

الفصل الثالث: آثار الإيمان باسم الأول

أولاً: آثار أسماء الله قلبية وكونية.

أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة: الإيمان بالاسم، وبما دل عليه من المعنى وبما تعلق به من الآثار، مثال ذلك أن تؤمن بأنه رحيم، هذا الاسم، وذو رحمة هذا المعنى وأنه يرحم من يشاء هذا الأثر[1]. فأثر الاسم من الأركان العظيمة والمطالب الشريفة في مباحث أسماء الله تعالى.

والإيمان بما يتعلق بالاسم من آثار ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: آثار وجدانية تصديقية إيمانية تتعلق بالقلب، وهي ما يظهر نتيجة للإيمان بالأسماء من أنواع العبوديات المناسبة لها، من تعظيم الرب وتقديره قدره المتضمن لقيام القلب بأنواع من العبوديات، كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل ونحوها.

والقسم الثاني: آثار كونية تتعلق بالموجودات، وهي ما يظهر نتيجة لتعلق أحكام الاسم بذوات الموجودات وأحوالهم، فما من اسم من أسمائه إلا له تأثير في الكونيات، فكل مخلوقاته أثر من آثار أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأعظمها الأول، لأن تعلقه بالأرواح، والآخر تعلقه بالأجساد، والجسد قالب للروح، وهو مقصود لها[2]. قال ابن القيم: ((الأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها))[3].

فتبين أن مقتضى الكمال المقدس والملك التام لله تعالى أنه لا بد أن تظهر آثار وأحكام الأسماء الحسنى والصفات العلى[4].

ثانياً: آثار اسم الله (الأول):

إذا أثبت العبد لله تعالى اسم (الأول) المشتمل على صفة الأولية، وعلم أن الله هو السابق على كل شيء في وجود ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وفي سبق رتبته وكماله على كل موجود، فلا بد أن يتعبد بهذه الصفة، والتعبد لله بهذه الصفة يورث آثاراً عظيمة

---

(1) انظر: الكواشف الجلية ص: ٤٢٤-٤٢٥.
(2) القواعد الكلية للأسماء والصفات ص: ٧٥، ٩٥.
(3) مفتاح دار السعادة (٢/٩٠)، وانظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات ص: ٩٨-٩٩.
(4) انظر: التبيان في أقسام القرآن ص: ٣٦.

توجب على العبد تتبعها، والحرص على العلم بها والعمل بمقتضاها، قال ابن القيم: ((فمعرفة هذه الأسماء الأربعة الأول والآخر والظاهر والباطن هي أركان العلم والمعرفة فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه))[1]، وقال أيضاً:

هو أول هو آ خر هو ظاهر	هو باطن هي أر بع بوزانِ
ما قبله شيء كذا ما بـ عده	شيء تعالى الله ذو ا لسلطانِ
ما فو قه شيء كذا مادو نه	شيء وذا تفسير ذي البرهانِ
فانظر إ لى تـ فسيره بـ تدبر	وتـ بصروتعـ قل لمـ عانِ
وانظر إلى ما فيه من أنواع معـ	ـرفة لخالقنا العظيم ا لشانِ[2]

قال السعدي -بعد هذه الأبيات-: ((وحث المصنف على تدبر هذه الأسماء الأربعة وتعقل معانيها، وأنها مشتملة على أمور عظيمة من أنواع معرفة الله تعالى التي بها تحيا القلوب وتستنير الأفئدة))[3].

وهذه الآثار المترتبة على الإيمان باسم (الأول) اجتهادية يصعب حصرها، ويمكن بيان جملة منها، فمن ذلك:

١- علاجة الوسوسة في أولية الله تعالى وحقيقة ذاته:

من آ ثار ا سم (الأول) مع اسم الآ خر والظاهر والباطن أن ها علاج للوسو سة الشيطانية في كنه الذات الإلهية، وقد أشار إلى ذلك ابن عباس، فعن أبي زميل قال: سألت ابن عباس -رضي الله عنهما- فقلت ما شيء أجده في صدرى؟ قال: ((ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به، قال: فقال لي: ((أشيء من شك؟)) قال وضحك؟ قال: ((ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله ﷻ ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ

---

(1) طريق الهجرتين ص: ٤٦.

(2) متن القصيدة النونية لابن القيم ص: ٢٠٣.

(3) التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (٣٥٥/٦) ضمن مجموعة السعدي.

﴿ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[يونس:٩٤]))الآية. قال: فقال لي: ((إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد:٣]))[1].

وجاء في رواية ابن منده أن السائل إنما شك في أولية الله وأولية صفاته حيث قال: ((وكان الله، كأنه شيء قد كان))، فأجاب ابن عباس عن هذه الشبهة بقوله: ((أما قولك: وكان الله، فإنه لم يزل، ولا يزال)) ثم استدل ابن عباس على قوله بأزلية أسمائه وصفاته بقوله تعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد:٣]]، فعن سعيد بن جبير(ت ٩٥هـ)، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: إن في قلبي من القرآن لشكا، قال: ((ويلك، هل سألت أحدا غيري؟)) قال: لا، قال: ((وما هو؟)) قال: سمعت الله يقول: وكان الله، كأنه شيء قد كان... فقال: ((أما قولك وكان الله فإنه لم يزل ولا يزال ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾))[2].

ويعلق الإمام ابن القيم على هذا الأثر فيقول: ((فأرشدهم بهذه الآية إلى بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل، وأن سلسلة المخلوقات في ابتدائها تنتهي إلى أول ليس قبله شيء، كما تنتهي في آخرها إلى آخر ليس بعده شيء، كما أن ظهوره هو العلو الذي ليس فوقه شيء، وبطونه هو الإحاطة التي لا يكون دونه فيها شيء، ولو كان قبله شيء يكون مؤثراً فيه لكان ذلك هو الرب الخلاق، ولا بد أن ينتهي الأمر إلى خالق غير مخلوق وغني عن غيره، وكل شيء فقير إليه قائم بنفسه، وكل شيء قائم به موجود بذاته، وكل شيء موجود به قديم لا أول له، وكل ما سواه فوجوده بعد عدمه باق بذاته وبقاء كل شيء به، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء))[3].

وقال الخطابي: ((وذلك أنه إذا قال: هذا الله خلق فمن الذي خلقه؟ فقد نقض بأول كلامه آخره وأعطى أن لا شيء يتوهم دخوله تحت هذه الصفة...لأن جميع ذلك واقع تحت اسم الخلق...وأيضاً فلو جاز على هذه المقدمة أن يسأل فيقال: من خلق الله؟ فيسمي شيء من الأشياء يدعى له هذا الوصف للزم أن يقال: ومن خلق ذلك الشيء

(١) أخرجه أبودا ود في سننه (٥١١٠) (٤/ ٤٨٩)، وحسنه الألباني في صحيح أبي دا ود (٤٢٦٢) (٣/ ٩٦٢).
(٢) التوحيد لابن منده ح:١٨، ص: ٢٥، وفي تفسير ابن أبي حاتم ح: ١٠٥٨٢، (٦/ ١٩٨٥).
(٣) زاد المعاد (٢/ ٤٦١، ٤٦٢).

ولامتد القول في ذلك إلى مالا يتناهى، والقول بما لايتناهى فاسد، فيسقط السؤال من أصله))[١]

وقد وردت أحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- تحذر من الوسوسة في كنه ذات الله، والبحث فيما لا تدركه عقول البشر، وأمرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن نستعيذ من ذلك، وننتهي عنه، ونقول: آمنا بالله، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: آمنت بالله"[٢]، وعنه أيضاً قال: جاء ناس من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: "وقد وجدتموه؟" قالوا: نعم، قال: "ذاك صريح الإيمان"[٣]، وعنه أيضاً: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"[٤].

وهذا التوجيه من النبي -صلى الله عليه وسلم-، والذي فيه الاكتفاء بذلك من غير بحث عن الأدلة المبطلة لهذه الشبه، إنما هو لمن عرضت له هذه الشبهة ولم تتمكن منه أما إذا تمكنت وكان لها أثر في صاحبها فيجب البحث عن أدلة عقلية وشرعية في إبطالها، وهو ما فعله ابن عباس عندما قال مجيباً الرجل: ((أما قولك: وكان الله، فإنه لم يزل، ولا يزال)) ثم استدل بالآية. قال المازري(ت٥٣٦هـ): ((إن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة. فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير

---

(١) أعلام الحديث (١٥١٣/٣) وقد نقل ابن حجر في فتح الباري (٣٤١/٦) هذا المعنى عن الخطابي لكن بعبارة أخرى فقال عنه: ((الخالق يستحيل أن يكون مخلوقاً، ثم لو كان السؤال متجهاً لاستلزم التسلسل، وهو محال، وقد أثبت العقل أن المحدثات مفتقرة إلى محدث، فلو كان هو مفتقراً إلى محدث لكان من المحدثات)).

(٢) أخرجه مسلم ح: ٢١٢.

(٣) أخرجه مسلم ح: ٢٠٩..

(٤) أخرجه البخاري ح: ٣٢٧٦، ومسلم ح: ٢١٤.

أصل دفع بغير نظر في دليل، إذ لا أصل له ينظر فيه، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها))[1].

٢- إفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته:

العلم بأن الله تعالى كامل وغني بذاته وأسمائه وصفاته قبل وجود غيره، لسبقه وأوليته على كل موجود يوجب إفراده تعالى بصفات الربوبية والألوهية وتوحيده بأسمائه وصفاته، فكما أنه أول في ذاته فهو أول في أسمائه وصفاته قبل كل شيء، والتي منها صفات الربوبية، حيث هو الخالق الرازق المحيي المميت المالك المتصرف في خلقه كيف شاء، وكذلك هو أول في صفات الألوهية، من التأله الذي يوجب أن يكون واحداً في ألوهيته فلا إله إلا هو، وحينئذ يتحقق توحيد العبد لربه سبحانه ويتحقق إفراده بجميع أنواع العبادة التي لا يستحقها إلا هو وحده سبحانه.

٣- إبطال وجود شريك لله تعالى:

دلالة اسم (الأول) في الفردية والأحدية ترد على جميع أصناف المشركين والمبطلين ممن لم يقدروا الله حق قدره، ولم يقروا له بتفرده وكماله فاتخذوا معه الشركاء وضربوا له الأمثال، وانتقصوا جناب الربوبية، وهضموا حق الألوهية، وذلك أن أوليته تعالى تعني أنه فرد واحد سابق ليس معه شريك[2]، فالأول لا يكون إلا فرداً، وفي هذا إبطال لوجود المثل والند والكفء في كل ما يخصه من صفات الكمال والتأله، قال تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:٤]، فليس له شريك في صفات الربوبية والخلق والتدبير، وليس له شريك في صفات التأله التي توجب له صرف العبادة له من جميع العبد وليس له مثل وند في كمال أسمائه وصفاته.

٤- التجرد من مطالعة الأسباب، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضل الله ورحمته:

يوجب اسم (الأول) للعبد أن يلحظ فضل كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه سبحانه[3]، قال ابن القيم: ((فعبوديته باسمه (الأول) تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (٢/ ١٥٥).
(٢) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ١٤٠).
(٣) انظر: الحق الواضح المبين ضمن الموسوعة القطرية لكتب ابن سعدي (٦/ ٥١٤).

وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، وإنما هو عدم محض، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فمنه سبحانه الإعداد، ومنه الإمداد، وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وجوده، لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزل اسمه (الأول) على هذا المعنى أوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة))[1]. وليس معنى هذا أننا لا نأخذ بالأسباب، بل نأخذ بالأسباب، ولكن لا نتوكل على الأسباب، وإنما التوكل يكون على الله سبحانه وتعالى الذي هو المسبب الحقيقي؛ لأن الإعراض عن الأسباب قدح في الشرع، والتعلق بالأسباب قدح في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً قدح في العقل، لأن الشرع أمر بالأخذ بالأسباب، والتعلق بالأسباب دون الله سبحانه وتعالى قدح في التوحيد.

ولا يكتفي العبد في اسم (الأول) بملاحظة سبق فضل الله، بل يترقى إلى درجة أعلى فإن التعبد لله باسم الأول في النظر إلى سابق فضل الله له مرتبتان: الأولى: أن تلحظ سبق الله بكل النعم الدينية والدنيوية بدون سبب منك، بل كل شيء حصل لك إنما هو بفضله ورحمته، والثاني: أن تشكره على ذلك بفعل العبادات القلبية والبدنية والقولية[2].

٥ - الرجوع إلى سبق الله بمطالعة الفضل يورث للعبد: الخلاص من رؤية الأعمال ويقطع شهود الأحوال، ويمحص من أدناس مطالعة المقامات[3].

مشاهدة سبق أولية الله في حصول أسباب النعم الدينية والدنيوية يورث للعبد ثلاث ثمار:

الثمرة الأولى: الخلاص من رؤية الأعمال:

فأولية الله في سبق فضله على عباده تعني أنه المبتدئ بالفضل، حيث لا سبب ولا وسيلة، فلا يرى لغير الله شيئاً إلا به وبحوله وقوته، فبفضل الله ورحمته وجدت منه الأقوال الشريفة والمقامات العلية، فهو لا يشهد غير فضل مولاه وسبق منته ودوامه

---

(١) طريق الهجرتين ص: ٤٠.

(٢) المرجع السابق ص: ٤٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ص: ٣٧.

فيثيبه الخلاص من رؤية الأعمال حيث كان يراها ويتمدح بها ويستكثرها، فيستغرق بمطالعة الفضل غائبا عنها ذاهبا عنها فانيا عن رؤيتها[1].

فإذا تدبر العبد أن الله هو الأول، وهو الذي ابتدأ خلقه وأنعم عليه، وهو الذي علمه وأطعمه وسقاه، قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[النحل:٥٣] فإذا تدبر ذلك كمل توحيده في التعلق بالله، وزال عنه كل عجب واعتماد على النفس.

الثمرة الثانية: قطع شهود الأحوال[2]:

أولية عطاء لله للعبد وسابق فضله تورث عدم الوقوف مع الأحوال والنسمات التي تهب على القلب، فلا يقف متكثراً بها ولا ممتدحاً بها، ولا تزهو وتستطيل بها نفسه بل يرى أنها أحوال عارضة لا تدوم، وأنه يجب أن تنشغل نفسه بربه عنها، ويصير فقيراً إلى مولاه بمطالعة سبق فضله الأول، مقطوعاً عن شهود أمر أو حال ينسبه إلى نفسه، بحيث يكون بشهادته لحاله مفصوماً مقطوعاً عن رؤية عزة مولاه وفاطره وملاحظة صفاته[3].

الثمرة الثالثة: التمحيص من أدناس مطالعة المقامات:

الرجوع إلى السبق بمطالعة الفضل يمحص من أدناس مطالعات المقامات، فلا يتشوف إليها ويرى أنه قد حققها، واستحق أن ينسب إليها، مثل أن يقال: زاهد صابر خائف راج محب راض، فيغيب بها عن ربه، أما من حقق معنى أولية عطاء ربه، فإنه لا يقف عند هذه المقامات ولا ينشغل بها، بل هو مشتغل بمن وهبها له، وأنعم بها عليه[4].

٦ - تجريد المحبة لله تعالى وتعظيمه وإجلاله:

ومن الثمرات تجريد المحبة لله ﷻ وتعظيمه وإجلاله وغيرها من العبادات القلبية، حيث إنه الموجود الحق الأول، دائم الوجود أزلاً وأبداً، وله الكمال المطلق في الأزل في

---

(١) انظر: المرجع السابق ص:٤٠-٤٩.

(٢) قال ابن القيم في تعريف الحال والمقام: ((المقام ما كان راسخا فيه، والحال ما كان عارضا لا يدوم)) طريق الهجرتين ص:٥٠.

(٣) انظر: طريق الهجرتين ص:٥٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ص:٥٠.

أسمائه الحسنى وصفاته العلى، بحيث لا يكون وراءه كمال أصلاً، فلم يكن نا قصاً ثم كمل، ولم يستفد الكمال بعد وجود خلقه، بل كان كاملاً قبل ذلك، وكل ماسواه فهو مربوب، ووجوده مستمد من وجوده سبحانه، لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، فمنه الإيجاد والإمداد، وحري بمن هذه صفاته أن يحب ويعظم ويؤله بقلوب العباد وألسنتهم وجوارحهم، وذلك بقيام ألسنتهم بالثناء عليه، وقيام قلوبهم بتعظيمه وإجلاله وخوفه وقيام جوارحهم بشكره وعبوديته[1].

٧ – دوام تعلق القلوب بخالقها ومعبودها وتوجهها له وحده لا شريك له:

لما كانت أولية الله تعني دوام حياته في الأزل، وأنه لم يسبق بعدم، امتنع على ذلك أن يكون له آخر ونهاية، فله وحده البقاء والدوام من أزل الأزل إلى أبد الأبد[2]، قال البيهقي: ((إذا كان موجوداً لا عن أول ولا بسبب لم يجز عليه الانقضاء والعدم، فإن كل منقض بعد وجوده فإنما يكون انقضاؤه لانقطاع سبب وجوده، فلما لم يكن لوجود القديم سبب فيتوهم أن ذلك السبب إن ارتفع عدم، علمنا أنه لا انقضاء له))[3]وإذا تقرر دوام حياته أولاً وآخراً استحق أن تتعلق به قلوب العباد في جميع شؤونها وتتوكل عليه في جميع أمورها، قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[الفرقان:٥٨].

٨ – افتقار الموجودات إلى الله من كل وجه:

الفقر صفة ذاتية ملازمة للمخلوق في جميع أحواله، ولا حول ولا قوة له إلا بالله تعالى ولا يستغني عن ربه طرفة عين، وكل الموجودات أوجدها الله تعالى بعد أن لم تكن لأنه هو الأول، فهو السابق لكل شيء، وهي مفتقرة بذاتها إليه، فهو الذي أوجدها وأمدها وأعدها لكل ما فيه بقاؤها وصلاحها وقيامها، فهي مفتقرة إليه من كل وجه، قال ابن عطية: ((هو الأول بالوجود، إذ كل موجود فبعده وبه))[4].

والشعور بالافتقار إلى الله يجعل العبد خائفاً راجياً متوكلاً على ربه في دفع الضرر وجلب النفع، متبرئاً من كل حول وقوة، داعياً له في كل حين بالهداية والحفظ والتوفيق

---

(١) انظر: شرح القصيدة النونية للهراس (٢/٦٩).
(٢) انظر: طريق الهجرتين ص:٤٠، والأسماء والصفات للبيهقي (١/٤٤)، وأسماء الله الحسنى للشحاته ص:٩٤.
(٣) الأسماء والصفات (١/٢٤)، وانظر: التبصير في الدين ص: ١٦٤، مفاتح الغيب (١/ ١٠٩).
(٤) المحرر الوجيز (٥/ ٢٣٢).

قال ابن القيم: ((قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لاينفك عنهم، كما أن كونه غنيا حميدا ذاتي له، فغناه وحمده ثابت له لذاته لا لأمر أوجبه وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه... كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

والفقر لي وصفُ ذاتٍ لازم أبدا ... كما الغنى أبدا وصفٌ له ذاتي[1]

٩ - استغناء الموجودات بالله من كل وجه:

الله تعالى الغنى التام المطلق من جميع الوجوه والاعتبارات، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته في الأزل، فأوليته تعني أنه مستغنٍ بنفسه في حصول كماله لذاته لا لأمر خارج عنها، لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، فلم يكن قبله أحد ليستفيد منه صفة الغنى وكل ما يحصل من غنى للعباد فهو من الله، فالله هو الذي أغنى عباده عما سواه، فهو المغني جميع خلقه غنى عاماً، فقد ساق إليهم أرزاقهم، وأغنى خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية[2].

١٠- سؤال الهداية والتوفيق من الأول الذي سبقت منه المقادير قبل وجود الخلق:

من نظر إلى أولية الله تعالى وأنه قد سبق كل شيء بذاته وكماله وتقديره، وأنه حصلت منه جميع النعم والمقادير على عباده أولاً، فهو السابق بتقديره كل شيء على عبيده من خير وشر -من نظر إلى ذلك وجب عليه التضرع لله، وسؤاله الهداية والإبعاد عن الضلالة، فبيده مقادير العباد، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فإن حصلت له طاعة فبتوفيق الله تعالى وفضله أولاً، وإن حصلت منه معصية فبتقدير الله وعدله، والعبد هو الفاعل لها، وما قدرها عليه إلا لحكمة.

١١- المسارعة في فعل الخيرات والمسابقة إليها:

من ثمرات أولية الله حرص العبد على محبة الأولية في طلب الخير، وطلب الأسبقية في التزام الأمر، وحرصه على المزيد من الأجر، قال تعالى في وصف عباده الموحدين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١]، قال القرطبي: ((فيجب

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٤٤)، وأورده ابن القيم في طريق الهجرتين ص: ٢٢.

(٢) انظر: تفسير السعدي ص: ٩٤٨.

على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه هو إله الأولين والآخرين، هو الأول في ذلك، والآخر لم يلحقه حول ولا تغيير، ثم يأخذ نفسه بالتقدم أو السبق إليه، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الواقعة:١٠-١١]))[1].

١٢- وجود الحق أقدم من الباطل:

الله سبحانه وتعالى هو (الأول) قبل كل شيء، فالحق الذي أمر به من عقائد وشرائع على ألسنة أنبيائه ورسله سابق على كل باطل مخالف لذلك من شرك وكفر ومعاص فإن الباطل أمر طارئ، والحق هو الأصل الثابت.

* * *

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص:١٥٤.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث أوجز أبرز نتائجه ومنها:

١- أن (الأول) من أسماء الله الحسنى، الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهويعني السابق في وجوده ورتبته على كل موجود، وكل نعمة و فضل تحصل في الوجود فمرجعها ومآلها إلى الله تعالى في خلقها وإمدادها.

٢- لم يثبت من أسماء الله بمعنى السابق والمتقدم إلا اسم (الأول)، وما عداه كالقديم والأزلي فنسبته غير ثابتة، لعدم الدليل الصحيح، ولأن أسماء الله توقيفية.

٣- دلالة اسم (الأول) على أنه تعالى أول بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ليس شيئاً منها مخلوق، وأنه لم يكتسب شيئاً من ذلك بعد وجود خلقه، بل هو الذي سمى بها نفسه.

٤- أن ذات الله لا بد أن تكون لها أسماء وصفات تميز وجودها ولا تعقل ذات إلا بها وأسماء الله وصفاته كثيرة، ولا تعني كثرتها وتعددها تعدد الذات، بل هي دالة على كمال الذات.

٥- أن صفات الأفعال ثابتة لله تعالى، ولكل صفة منها نوعاً وآحاداً، فنوعها أزلي ليس له أول ولا بداية، وآحادها حادثة متجددة تتعلق بمشيئته متى شاء فعلها وهي تابعة لنوعها، فليست بمخلوقة، لأنها صفة لله تعالى، فذات الله غير مخلوقة، وكذلك صفاته.

٦- دلالة اسم (الأول) على أن الله فرد واحد لا شريك له في أوليته وكماله وماسواه مخلوق حادث.

٧- دلالة اسم (الأول) على أن لله تعالى الكمال المطلق من كل وجه، وتنزهه عن صفات النقص.

٨- دلالة اسم (الأول) على آثار عظيمة في العلم والمعرفة في الخالق والمخلوق التي بها تحيا القلوب وتستنير بها الأفئدة.

هذا والحمد على توفيقه وإعانته، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١. آداب الشافعي ومناقبه، لابن المنذر، ت: عبد الغني عبد الخالق، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٢٤هـ.

٢. الإبانة الكبرى، لابن بطة، ت: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، وحمد التويجري، ط: دار الراية.

٣. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري، ت: دار المشكاة، ط: دار الوطن للنشر، ط:١، ١٤٢٠هـ.

٤. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، للفارسي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٥. أحكام القرآن، لابن العربي، دار الجيل، تحقيق: علي البجاوي، ١٤٠٧هـ.

٦. إحياء علوم الدين، للغزالي، ط: دار المعرفة – بيروت

٧. الأربعين للرازي، ط: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م.

٨. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد القسطلاني، ط: المطبعة الكبرى الأميرية.

٩. الإرشاد للجويني، ت: محمد يوسف موسى، ط: الخانجي، ١٣٦٩م.

١٠. الاستقامة، لابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط:١، ١٤٠٣هـ.

١١. الأسماء الحسنى معانيها وآثارها، رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية، لرفيع أوونلا، إشراف صالح السحيمي، مخطوطة.

١٢. أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة لمحمود عبد الرضواني، ط: سلسبيل، ط:١، ١٤٢٦هـ.

١٣. أسماء الله الحسنى، لشحاته، ط: دار خضر، ط:١، ١٤١٨هـ.

١٤. أسماء الله الحسنى، لعبد الله الغصن، ط: دار الوطن، ط:٢، ١٤٢٠هـ.

١٥. الأسماء والصفات، للبيهقي، ط: مكتبة السوادي، ت: عبد الله الحاشدي، ط:١، ١٤١٣هـ.

١٦. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، دار الصحابة، تحقيق: محمد جبل، وطارق أحمد، ط:١، ١٤١٦هـ.

١٧. الأشباه والنظائر، لابن نجيم، ت: الشيخ زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٩هـ.

١٨. اشتقاق أسماء الله لأبي القاسم الزجاجي، مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٦، تحقيق د. عبد الحسين المبارك.

١٩. أ صول ا لسنة، لا بن أ بي زَمَنِ ين، ت: ع بد الله بن مح مد الب خاري، ط: مكت بة الغر باء الأثر ية، ط:١، ١٤١٥هـ.

٢٠. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، لناصر القفاري، ط:١، ١٤١٤هـ

٢١. الاعتقاد والهداية للبيهقي، ت: كمال الحوت، ط: عالم الكتاب، ط:٢، ١٤٠٥.

٢٢. أ علام ا لحديث لأ بي سليمان الخ طابي، ت: د. مح مد بن سعد آل سعود، ط: جام عة أم ا لقرى، ط:١، ١٤٠٩هـ.

٢٣. إغاثة اللهفان، لابن القيم، ت: محمد عفيفي، ط: المكتب الإسلامي، ط:٢، ١٤٠٨هـ.

٢٤. ا قتضاء ا لصراط ا لمستقيم، لا بن تيم ية، ت: مح مد حا مد الف قي، ط: مطبعة ا لسنة المحمد ية، ط"٢، ١٣٦٩هـ.

٢٥. الإكمال في ر فع الارتياب عن المؤت لف والمخت لف في الأسماء والكنى والأنساب، لسعد الم لك ابن ماكولا

٢٦. ، ط دار الكتب العلمية، ط:١٤١١هـ.

٢٧. الإنصاف للباقلاني تحقيق: الكوثري، ط: مكتبة الخانجي، ط:٣، ١٤١٣هـ

٢٨. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة، تحقيق محمد عزت، المكتبة التوفيقية.

٢٩. الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، لنبيل سعد الدين سَلِيم جَرَّار، ط: أضواء السلف، ط:١، ١٤٢٨هـ.

٣٠. البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن ع مرو المعروف بالبزار، ت: مح فوظ ا لرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، ط: مكتبة العلوم والحكم، ط:١.

٣١. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، ت: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٣٢. البحر المديد، لابن عجيبة، ط: دار الكتب العلمية، ط:٢، ١٤٢٣هـ

٣٣. بدائع الفوائد، لابن القيم دار الباز، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل العدوي، ط:١، ١٤١٦هـ.

٣٤. بغية المرتاد في ا لرد ع لى المتف لسفة والقرام طة والباطن ية، لا بن تيم ية، ت: موسى ا لدويش، ط: مكتبة العلوم والحكم، ط:٣، ١٤١٥هـ.

٣٥. ب يان تل بيس الجهم ية، لا بن تيم ية، ت: مجموعة من المحق قين، ط: مج مع الم لك ف هد، ط:١، ١٤٢٦هـ

٣٦. تاج العروس، للزبيدي، دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.

٣٧. تاريخ الإسلام، للذهبي، ت: بشار عوّاد، ط: دار الغرب الإسلامي، ط:١، ٢٠٠٣م.

٣٨. تاريخ دمشق، لابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٣٩. التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٤٠. التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفراييني، ت: كمال الحوت، ط: عالم الكتب، ط:١، ١٤٠٣هـ.

٤١. التبيان في أقسام القرآن، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ط: دار الفكر.

٤٢. التحبير في التذكير، للقشيري، ت: محمد الفاروقي، ط: دار البيروتي، ط:٢، ١٤٢٤هـ.

٤٣. التحرير والتنوير لابن عاشور، ط: الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

٤٤. التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، لفالح آل مهدي، تصحيح وتعليق: عبد الرحمن المحمود، ط: دار الوطن، ط:١، ١٤١٤هـ.

٤٥. التدمرية، لابن تيمية، د. محمد بن عودة السعوي، ط: مكتبة العبيكان، ط: ٦، ١٤٢١هـ.

٤٦. تذكرة المؤتسي شرح عقيدة عبد الغني المقدسي، ت: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط: غراس، ط:١، ١٤٢٤هـ.

٤٧. التسعينية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. محمد العجلان، ط: مكتبة المعارف، ط:١، ١٤٢٠

٤٨. تفسير ابن أبي حاتم، لابن أبي حاتم، ت: أسعد محمد الطيب، ت: مكتبة نزار، ط:٣، ١٤١٩هـ.

٤٩. تفسير ابن كثير، لإسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي سلامة، ت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤٢٠هـ.

٥٠. تفسير أبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي.

٥١. تفسير البغوي، للبغوي، ت: محمد النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان الحرش، ط: دار طيبة، ط:٤، ١٤١٧هـ.

٥٢. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين الخازن، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٥٣. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٢١هـ.

٥٤. تفسير الطبري، للطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ.

٥٥. تفسير السعدي، لابن سعدي، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٥٦. تفسير القرطبي، للقرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية، ط:٢، ١٣٨٤هـ.

٥٧. تفسير المنار، لمحمد رشيد بن علي رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٥٨. التفسير المنير، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر، ط: ٢، ١٤١٨هـ

٥٩. التمهيد، لابن عبد البر، ت: مصطفى العلوي، محمد البكري، ط: وزارة عموم الأوقاف – المغرب، ١٣٨٧هـ.

٦٠. التمهيد للباقلاني، تحقيق: مكارثي، ط: المكتبة المشرقية، ١٩٥٧م.

٦١. تنبيه ذوي الألباب السليمة عن والوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، لسليمان بن سحمان، ط: دار العاصمة.

٦٢. تهافت الفلاسفة، لأبي حامد الغزالي، ت: سليمان دنيا، ط: دار المعارف، ط:٦.

٦٣. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي، ط:١، تحقيق محمد عوض.

٦٤. التوحيد لابن منده، ت: علي بن محمد ناصر الفقيهي، ط: مكتبة العلوم والحكم، ط:١، ١٤٢٣هـ.

٦٥. التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، للسعدي، مجموعة مؤلفات السعدي كاملة، إشراف أبناء الشيخ السعدي وآخرين، طبع على نفقة وزارة الأوقاف بقطر، ط:١، ١٤٣٢هـ

٦٦. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، لابن عيسى، ت: زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي، ط: ٣، ١٤٠٦هـ.

٦٧. الثقات، لمحمد بن حبان أبي حاتم، الدارمي، البُستي طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط:١، ١٣٩٣هـ.

٦٨. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ت: فواز زمرلي، ط: مؤسسة الريان، ودار ابن حزم، ط: ١، ١٤٢٤هـ.

٦٩. جامع المسائل، لابن تيمية، ت: محمد عزير شمس، ط: دار عالم الفوائد، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٧٠. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند دار إحياء التراث العربي، ط:١، ١٢٧١هـ ١٩٥٢م.

٧١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ت: علي الألمعي وغيره، ط: دار الفضيلة، ط:١، ١٤٢٤هـ.

٧٢. الحجة في بيان المحجة، لقوام السنة، دار الراية. تحقيق: محمد المدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم ط:١، ١٤١١هـ.

٧٣. حقائق التفسير، لأبي عبد الرحمن السلمي، ت: سيد عمران، ط: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

٧٤. الحق الواضح المبين، للسعدي، مجموعة مؤلفات السعدي كاملة، إشراف أبناء الشيخ السعدي وآخرون، طبع على نفقة وزارة الأوقاف بقطر، ط:١، ١٤٣٢هـ.

٧٥. حكم ابن عطاء الله شرح زروق، تحقيق عبد الحليم محمود، الناشر مكتبة النجاح.

٧٦. خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: فهد الفهيد، ط: دار أطلس الخضراء، ط:١، ٢٠٠٥هـ.

٧٧. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط: ٢، ١٤١١هـ.

٧٨. الدعاء، للطبراني، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٣هـ.

٧٩. دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، ت: د. عبد المعطي قلعجي، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٠٨هـ.

٨٠. ذخيرة الحفاظ لابن القيسراني، ت: د. عبد الرحمن الفريوائي، ط: دار السلف، ط:١، ١٤١٦هـ.

٨١. ذم التأويل، لابن قدامة المقدسي، ت: بدر بن عبد الله البدر، ط: الدار السلفية، ط:١، ١٤٠٦هـ.

٨٢. رحلة إلى الحق، لفاطمة اليشرطية، ط: ٣، ١٤١٠هـ.

٨٣. الرد على الجهمية، لأبي سعيد عثمان الدارمي، ت: بدر بن عبد الله البدر، ط: دار ابن الأثير، ط:٢، ١٤١٦هـ.

٨٤. الرد على الجهمية والزنادقة، لأحمد بن حنبل، ت: صبري بن سلامة شاهين، ط: دار الثبات، ط:١.

٨٥. الرد على القائلين بوحدة الوجود، لملا علي بن سلطان، تحقيق: علي رضا، ط: دار المأمون للتراث، ط:١، ١٩٩٥م.

٨٦. روح المعاني، للآلوسي، دار إحياء التراث العربي.

٨٧. زاد المعاد، لابن القيم، ط: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ط: ٢٧، ١٤١٥هـ.

٨٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين، ط: دار المعارف، ط:١.

٨٩. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، لناصر الدين الألباني، ط: دار المعارف، ط:١، ١٤١٢هـ.

٩٠. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث، ط: دار الكتاب العربي.

٩١. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الفكر.

٩٢. سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: دار إحياء التراث العربي.

٩٣. السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، ت: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، ط:٣، ١٤٢٤هـ.

٩٤. السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ط: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ.

٩٥. السنة، لابن أبي عاصم، ت: الألباني ط: المكتب الإسلامي، ط:٢، ١٤١٥هـ.

٩٦. السنة، للبغوي، المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط:١، ١٤٠٠هـ.

٩٧. سيرة حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، لمحمد بن أحمد سيد أحمد، المكتبة الشاملة.

٩٨. شأن الدعاء للخطابي، ط: دار الثقافة العربية، ط:١، ١٤٠٤هـ.

٩٩. شرح أسماء الله الحسنى، للرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، ط: المكتبة الأزهرية، ١٤٢٠هـ

١٠٠. شرح الأصفهانية، لابن تيمية، ت السعوي –مطبوع على الآلة الكاتبة.

١٠١. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم اللالكائي، ت: الغامدي، ط: دار طيبة، ط:٨، ١٤٢٣هـ.

١٠٢. شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ت: عبد الكريم عثمان، ط: مكتبة وهبة، ط:٢، ١٤٠٨هـ.

١٠٣. شرح حديث النزول، لابن تيمية، ط: المكتب الإسلامي، ط:٥، ١٣٩٧هـ.

١٠٤. شرح الحموية، ليوسف الغفيص، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية المكتبة الشاملة.

١٠٥. شرح الرسالة التدمرية، لمحمد بن عبد الرحمن الخميس، ط: دار أطلس الخضراء، ط: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

١٠٦. شرح صلاة ابن عربي، لابن عجيبة، ضمن سلسلات نورانية جمع العمراني، ط: مكتبة الرشاد، ط:١، ١٤١٧هـ.

١٠٧. شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين، ط: دار الوطن للنشر، ط:١، ١٤٢٦هـ.

١٠٨. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تخريج: الألباني، ط: دار السلام، ط:١، ١٤٢٦هـ.

١٠٩. شرح العقيدة الطحاوية، لعبد الرحمن البراك، إعداد: عبد الرحمن السديس، ط: دار التدمرية، ط:٢، ١٤٢٩هـ.

١١٠. شرح العقيدة الواسطية لصالح آل الشيخ، المكتبة الشاملة.

١١١. شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن خليل هرّاس، ت: علوي السقاف، ط: دار الهجرة، ط:٣، ١٤١٥هـ.

١١٢. شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين، ت: سعد فواز الصميل، ط: دار ابن الجوزي، ط:٥، ١٤١٩هـ.

١١٣. شرح القصيدة النونية، لمحمد خليل هراس،: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٧هـ.

١١٤. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لعبد الله الغنيمان، ط: مكتبة الدار، ط:١، ١٤٠٥هـ.

١١٥. شرح مختصر الروضة، لأبي الربيع الصرصري، ت: عبد الله التركي، ط: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٠٧هـ.

١١٦. شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، ت: عبد الرحمن عميرة، ط: عالم الكتب، ط:١، ١٤٠٩هـ.

١١٧. شرح مقدمة القيرواني للشيخ أحمد النقيب في المكتبة الشاملة

١١٨. الشريعة، لأبي بكر الآجري، ت: د. عبد الله الدميجي، ط: دار الوطن، ط:٢، ١٤٢٠هـ.

١١٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ط: دار الفيحاء، ط:٢، ١٤٠٧هـ.

١٢٠. الصحاح، للجوهري، دار العلم للملايين، ط:٤، ١٤٠٧هـ.

١٢١. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط: دار الصديق، ط:٤، ١٤١٨هـ.

١٢٢. صحيح أبي داود، للألباني، ط: الناشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ط:١، ١٤٠٩هـ.

١٢٣. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير، ط: دار طوق النجاة، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٢٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين، ط: المكتب الإسلامي.

١٢٥. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، ط: دار إحياء التراث العربي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٦. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، لمحمد أمان، ١٤١٥هـ، ط: المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط:١.

١٢٧. الصفدية، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط: مكتبة ابن تيمية، ط:٢، ١٤٠٦هـ.

١٢٨. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ت: علي الدخيل الله، ط: دار العاصمة، ط:١، ١٤٠٨هـ.

١٢٩. طريق الهجرتين، ط: دار ابن القيم، ط: ٢، ١٤١٤هـ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.

١٣٠. ضعيف الترغيب والترهيب، لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف.

١٣١. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، لمحمد ناصر الدين، إشراف: زهير الشاويش، ط: المكتب الإسلامي.

١٣٢. العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط: دار العاصمة، ط:١، ١٤٠٨هـ.

١٣٣. العقائد النصرانية، للتيمي، المكتبة الشاملة.

١٣٤. عمل اليوم والليلة، لابن السني، ت: كوثر البرني، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن.

١٣٥. عمل اليوم والليلة، للنسائي، ت: د. فاروق حمادة، ط: مؤسسة الرسالة، ط: ١٤٠٦هـ.

١٣٦. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤٠٨هـ.

١٣٧. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ط: مكتبة المعارف، ط:١، ١٤١١هـ.

١٣٨. فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

١٣٩. فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان، راجعه عَبد الله الأنصاري، ط: المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ.

١٤٠. فتح القدير للشوكاني، ط: دار الفكر.

١٤١. الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، ت: د. حمد التويجري، ط: دار الصميعي، ط:٢، ١٤٢٥هـ.

١٤٢. الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي الطائي، ط: الميمنية الأولى ١٣٢٩هـ.

١٤٣. الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، اعتنى به: إبراهيم رمضان، ط: دار المعرفة، ط: ١٤٠٥هـ.

١٤٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ط: مكتبة الخانجي.

١٤٥. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، ت: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط: دار الكتب العلمية.

١٤٦. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم النفراوي، ط: دار الفكر ١٤١٥هـ.

١٤٧. القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٧هـ.

١٤٨. قلادة النحر في شرح حزب البحر، لمحمد الصيادي الحسيني، طبع بالمطبعة العمومية: ١٣١٥هـ.

١٤٩. القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، إبراهيم البريكان، ط: دار الهجرة، ط:٢، ١٤١٥هـ.

١٥٠. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى دار ابن القيم، ط:١، ١٤٠٦هـ.

١٥١. القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن السعدي، ط: وزارة الشئون الإسلامية، ط: ٢، ١٤٢١هـ.

١٥٢. كتاب العين، للخليل الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

١٥٣. الكشاف عن حقائق التنزيل، للزمخشري، دار إحياء التراث العربي، عبد الرزاق المهدي.

١٥٤. كشف الأسرار لتنوير الأفكار، طبع على نفقة أحمد اليشرطي، مجلة منار الهدى.

١٥٥. الكلم الطيب، لابن تيمية، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، ط:٣، ١٩٧٧م.

١٥٦. الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، لعبد العزيز السلمان، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية، ط:١١، ١٩٨٢م.

١٥٧. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ط:١، ١٤١٠هـ.

١٥٨. اللمع للأشعري، تحقيق: حمود غرابة، ط: مجموع البحوث الإسلامية، ١٩٧٥م

١٥٩. لوامع الأنوار البهية، للسفاريني الحنبلي، ط: مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط:٢، ١٤٠٢هـ.

١٦٠. متن القصيدة النونية لابن القيم، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط:٢، ١٤١٧هـ.

١٦١. مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٦٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر الهيثمي، ط: دار الفكر، ١٤١٢هـ

١٦٣. مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، ت: السيد محمد رشيد، ومحمد الأنور، ط: مكتبة وهبة، ط: ٢، ١٤١٢هـ.

١٦٤. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، لابن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

١٦٥. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

١٦٦. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع: فهد السليمان، ط: دار الوطن، ١٤١٣هـ.

١٦٧. المحلى بالآثار، لابن حزم. دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

١٦٨. مختصرا لصواعق المرسلة، مؤلف الأصل: ابن قيم الجوزية، واختصره: ابن الموصلي، ت: سيد إبراهيم، ط: دار الحديث، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٦٩. مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط: دار الكتاب العربي، ط:٣، ١٤١٦هـ.

١٧٠. مذكرة التوحيد، لعبد الرزاق عفيفي، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ط:١، ١٤٢٠هـ.

١٧١. مراتب الإجماع، لأبي محمد بن حزم الأندلسي، ط: دار الكتب العلمية.

١٧٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان القاري، ط: دار الفكر، ط:١، ١٤٢٢هـ.

١٧٣. المسالك والممالك، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي ط: دار صادر، ٢٠٠٤م.

١٧٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ت: مصطفى عبد القادر، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١١هـ.

١٧٥. المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط:١، ١٤١٨هـ.

١٧٦. مسند ابن أبي شيبة، لأبي بكر بن أبي شيبة، ت: عادل العزازي وأحمد المزيدي، ط: دار الوطن ط:١، ١٩٩٧م.

١٧٧. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون، ط:١، ١٤٠٤هـ.

١٧٨. مسند إسحاق بن راهويه، لإسحاق بن راهويه، ت: د. عبد الغفور البلوشي، ط: مكتبة الإيمان، ط:١، ١٤١٢هـ.

١٧٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢١هـ.

١٨٠. المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، ط: المكتبة العصرية.

١٨١. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ أحمد حكمي، تحقيق عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

182. المعاني الإيمانية في شرح أسماء الله الحسنى الربانية، لوحيد عبد السلام، ط: دار الفوائد، ط:1، 1431هـ.

183. معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد بن خليفة بن علي التميمي، ط: أضواء السلف، ط:1، 1419هـ/1999م.

184. المعتمد لأبي يعلى، تحقيق: وديع حداد، ط: دار المشرق.

185. المعجم الأوسط، لأبي القاسم الطبراني، ت: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار الحرمين.

186. المعجم الكبير، للطبراني، ط: مكتبة العلوم والحكم، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط:2، 1404هـ.

187. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ط: عالم الكتب، ط:3، 1403هـ

188. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الفكر، 1399هـ.

189. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ط: دار الكتب العلمية –بيروت.

190. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، ت: محمد سيد كيلاني، ط: دار المعرفة.

191. مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، ط:1، 1416هـ.

192. مقدمة ابن أبي زيد القيرواني، تقديم بكر أبو زيد، ط: دار العاصمة، ط:1، 1414هـ.

193. المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، ت: محمد الخشب، ط: مكتبة القرآن، 2001م.

194. المقصد الأسنى في بيان ضعف سرد الأسماء الحسنى، لمحمد اللحيدان، ط: أولي النهى، ط:1، 1411هـ.

195. المقصد الأسنى، للغزالي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط: مكتبة القرآن، 2001م.

196. المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي، للهيثمي، ت: سيد كسروي حسن، ط: دار الكتب العلمية.

١٩٧. ملحق في الجهمية لأبي داود السجستاني ضمن عقائد السلف، جمع النشار والطالبي، منشأة المعارف الإسكندرية.

١٩٨. الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني، صححه أحمد فهمي، ط: دار الكتب العلمية، ط:١، ١٤١٠هـ.

١٩٩. المواقف، للإيجي، الناشر: دار الجيل، ط:١، ١٩٩٧م، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة.

٢٠٠. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمن المحمود، ط: مكتبة الرشد، ط:١، ١٤١٥هـ.

٢٠١. مناقب الشافعي للبيهقي، ت: السيد أحمد حجازي السقا، مكتبة الكلية الأزهرية ١٤٠٦

٢٠٢. منهاج السنة، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١، ١٤٠٦هـ.

٢٠٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ط: دار إحياء التراث العربي، ط:٢، ١٣٩٢هـ.

٢٠٤. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين الشنقيطي، ت: عطية محمد سالم، ط: الدار السلفية، ط:٤، ١٤٠٤هـ.

٢٠٥. الموضوعات، لابن الجوزي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: محمد عبد المحسن، ط:١، ١٣٨٦هـ.

٢٠٦. نقد مراتب الإجماع، لابن تيمية، ت: حسن أحمد إسبر، ط: دار ابن حزم، ط:١، ١٤١٩هـ.

٢٠٧. النفحات القدسية العلية بشرح الوظيفة الشاذلية الشرطية لمصطفى أبو ريشة، ط:٣، ١٣٩٨هـ.

٢٠٨. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي، لأبي سعيد الدارمي، ط: مكتبة الرشد، ت: رشيد الألمعي، ط:١، ١٤١٨هـ.

٢٠٩. نهاية الإقدام للشهرستاني، ت: الفرد جيوم، طبعة مصورة عن طبعة ليدن.

٢١٠. هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل، ط: الدار السعودية، ط:٤، ١٤٠٥هـ.

* * *